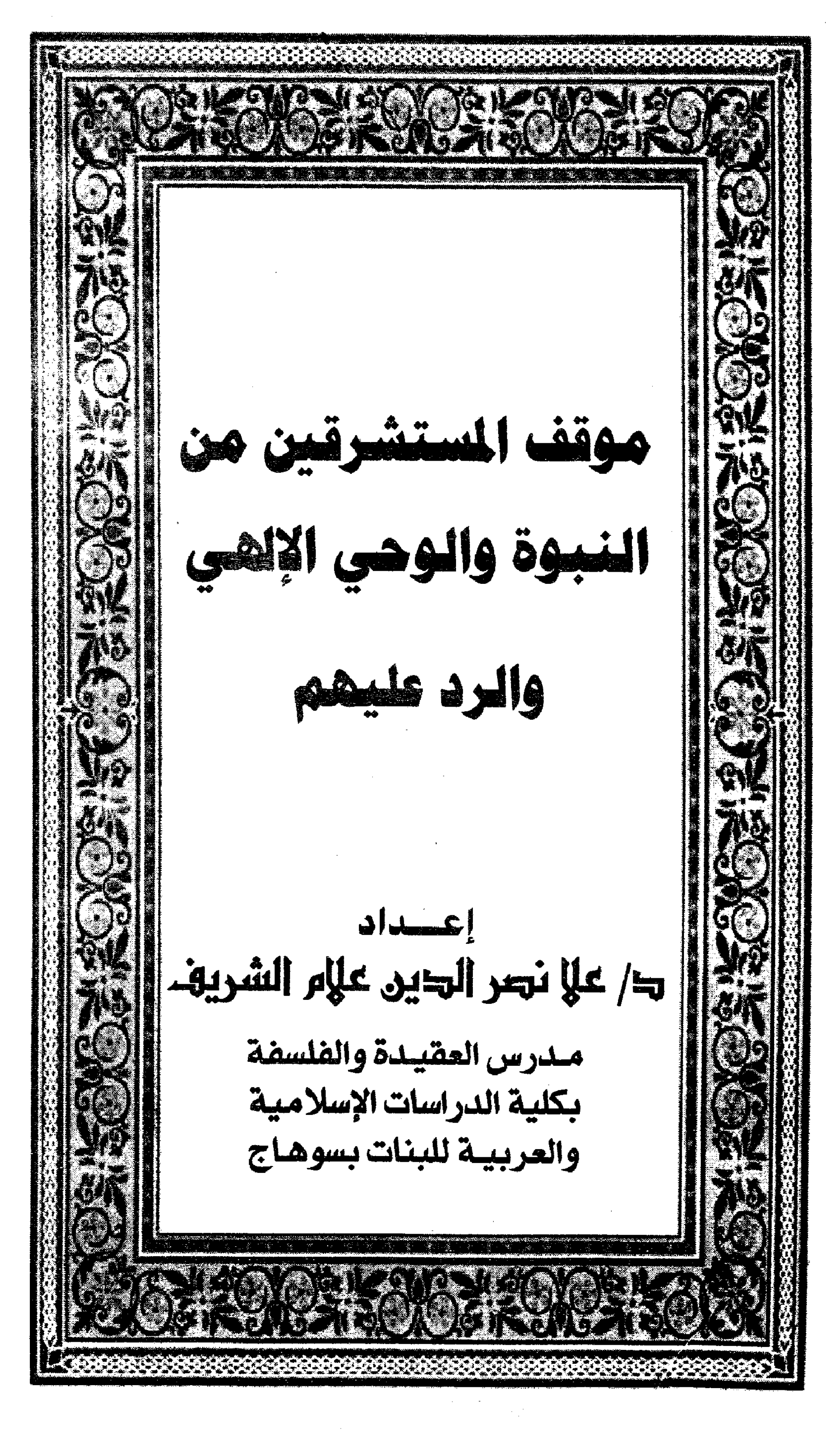


موقف المستشرقين من النبوة والوحي الإلهي والرد عليهم

إعداد

د/ علا نصر الدين علام الشريف

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هديه إلى يوم الدين.

أما بعد

فلا يخفى علينا أن الإسلام مستهدف منذ ظهوره، فمنذ أن بزغ فجر الإسلام وأعداؤه يتربصون به الدوائر ويدبرون له المكائد من أجل القضاء عليه وإفساد عقائده، فمنذ القدم والصراع قائم بين الخير والشر، بين الحق والباطل، وبين الإسلام وخصومه، ومن هنا الإسلام هدف لمخطط إرهابي رهيب وعرضه لمطامع قوية حاقدة ولغزو فكري رهيب وخطير يستهدف القضاء عليه نهائياً وبتر جذوره واقتلاعها من الأساس.

ولقد تعرض الإسلام في العصر الحديث لحملة شرسة تستهدف القضاء عليه وطمس معالمه، قام بها بعض دعاة المستشرقين الذين يضمرون في أنفسهم الحقد والعداء للإسلام والمسلمين ويبذلون أقصى جهدهم من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين.

والحقيقة أن الاستشراق في مفهومه العام يمثل حركة قديمة قدم الحقد على الإسلام، فهو امتداد لليهود والنصارى القدامى الذين بذلوا أقصى ما في وسعهم للقضاء على الإسلام وطمس معالمه من الوجود، وقد فضحهم الله تعالى وهتك أستارهم وكشف أحقادهم فقال

جل شأنه في محكم التنزيل ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (١)

ويمثل الفكر الإستشراقي المعاصر في الغالب قوة باغية من القوى المعادية للإسلام والمسلمين يتظاهرون بلباس العلم والتجرد العلمي وهم في الحقيقة أبعد ما يكون عن النزاهة والحياد والموضوعية، وإنما يعملون على تشويه صورة الإسلام ويحاولون تشكيك الناس في عقائده وتعاليمه وتنفيرهم منه، ولكن هيهات لهم ذلك فقد قيض الله عز وجل لهذا الدين من يدافع عنه ويظهر محاسنه وصورته الجميلة في عيون الآخرين.

ولا يخفى علينا أن للمستشرقين مواقف متعددة من الإسلام والمسلمين، فقليل منهم من قال كلمة الحق في الإسلام والمسلمين، وكثير منهم من كتم الحق وحرف الكلم عن مواضعه.

ولما كان الأمر كذلك فقد أردت أن أكشف اللثام عن أعمال هؤلاء المستشرقين وما يقومون به من تخطيط إرهابي خطير يستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين في شتى أنحاء العالم، ولما كان المجال لا يتسع لعرض جميع أعمال المستشرقين التي قاموا بها بغية القضاء على الإسلام فقد اخترت جانباً من أخطر الجوانب التي طرقها المستشرقون وحاولوا من خلاله تشويه صورة الإسلام وطمس معالمه، آلا وهو جانب النبوة والوحي الإلهي الذي أطلق المستشرقون لعقولهم الأعنة بالخوض والطعن فيه مستهدفين بذلك الإسلام بأكمله، ذلك لأنهم

---

(١) سورة البقرة آية: (١٢٠).

يعلمون يقيناً أن النبوة والوحي وجهان لعملة واحدة، كما يعلمون أنهما الأساس الذي يبني عليه الدين فإذا فقد هذا الأساس فقد فُقد الدين بأكمله، ومن هنا فقد رأي هؤلاء المستشرقون أن القدح في نبوة سيدنا محمد ﷺ والطعن في الوحي الإلهي يؤديان إلى إنهيار صرح الإسلام الشامخ، لذلك فقد كثفوا حملاتهم وصوبوا هجماتهم للنيل من النبي ﷺ بالطعن في نبوته والطعن في الوحي الذي أنزل عليه.

هذا وقد جعلت موضوع البحث بعنوان "موقف المستشرقين من النبوة والوحي الإلهي والرد عليهم"

وقبل أن أبدأ في عرض شبه المستشرقين حول النبوة والوحي الإلهي أردت أولاً أن أوضح الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع فأقول:

أولاً : كثرة الأعاصير التي تهب بين الحين والآخر تستهدف القضاء على الإسلام وطمس معالمه، فأردت أن أشارك – ولو بالقلم – في صد تلك الأعاصير وإيقاف زحفها على الدين.

ثانياً: الرد على الشبهات التي وجهها المستشرقون للقدح في نبوة محمد ﷺ والطعن في الوحي الإلهي، وبيان أن هذه الشبهات، ما هي إلا خيوط واهية كخيوط العنكبوت يتمسك بها أعداء الدين من المستشرقين بهدف القضاء على الإسلام وإفساد عقائده.

ثالثاً : تأثر الكثير من المسلمين وخصوصاً الشباب الذين قلت ثقافتهم ومعرفتهم بأفكار المستشرقين الغرب التي تدعو في ظاهرها إلى الرقي والتقدم والحضارة والمدنية، ووقوعهم فريسة لتلك الأفكار الخاطئة التي تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، من أجل ذلك

فقد رأيت أن يكون لي دور في توعية المسلمين - وخصوصاً ذلك الشباب المسلم- وتنبيههم إلى ما يقوم به المستشرقون من مخططات للطعن في الإسلام، وتحذيرهم من التأثر بأفكارهم والوقوع في حبائلهم.

وفي هذا البحث سأقوم بمشيئة الله تعالى بإلقاء الضوء على مفهوم الاستشراق ونشأته وأهم أهدافه، ثم أقوم بعرض إطلالة سريعة عن مفهوم النبوة ومفهوم الوحي، ثم أتحدث عن أهم مخططات المستشرقين للقدح في نبوة سيدنا محمد ﷺ والطعن في الوحي الإلهي، وسوف أحاول - قدر المستطاع - الرد على تلك المطاعن ودحضها وكشف القناع الزائف الذي يتستر خلفه هؤلاء المستشرقون.

وبعد فهذا ما هداني إليه الله عز وجل في بحثي هذا، فإن كنت قد وفقت فيه فأحمد الله على ذلك، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بشر أخطئ وأصيب والكمال لله وحده، والعقل البشري قاصر ومحدود ومهما توصل فلابد له من بعض الزلات والعثرات.

والله ولي التوفيق

د/ علا نصر الدين علام الشريف

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية بسوهاج

الإستشـراق نشأتـه وأهدافـه

لمـــا كان موضوع البحث يدور حول بيان موقف المستشرقين من النبوة والوحي الإلهي فقد رأينا أن نلقي الضوء في عجالة سريعة على مفهوم الإستشراق ونشأته وأهم أهدافه فنقول وبالله التوفيق:

أ- مفهوم الإستشراق:

في الواقع أن كلمة "استشراق" التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية القديمة وعدم ورودها في المعاجم اللغوية لا يمنعنا من محاولة البحث عن أصل تلك الكلمة ومحاولة معرفة معناها الحقيقي وأصل اشتقاقها.

والحقـــيقة أن المعنـــي المفهوم من لفظ "استشراق" أي أدخل نفـــسه في أهل الشرق وصار منهم، وعلى ذلك فإن المعول لنا لمعرفة مفهــوم هــذه الكلمـــة هو أصل اشتقاق هذه الكلمة المشتقة منه فهي مشتقة من كلمة " شرق " كما ورد في معاجم اللغة الحديثة، فورد في المعجـــم الوســيط أن كلمة "استشراق" : "مشتقة من مادة شرق يقال شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت"(١).

وذكـــرت بعض المصادر اللغوية الحديثة أن "استشرق أي طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة"(٢).

وذكـــر أحد الباحثين أن الإستشراق "هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وآدابه وأديانه"(١).

---

(١) المعجم الوسيط- ت/ مجمع اللغة العربية- ج١ ص٥٠ ط القاهرة سنة ١٩٦٠م.

(٢) معجم متن اللغة – الشيخ أحمد رضا – ج٣ ص ٣١١ – ط القاهرة.

وذكر أحد الباحثين أن الإستشراق "اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الشرق كله لغاته وأديانه، تقاليده وآدابه"[٢].

واما المستشرق : فقد ذكر الدكتور "محمود حمدي زقزوق" أن للمستشرق معنى عام ومعنى خاص، أما المعنى العام فهو "كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه أو وسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه" [٣].

وأما المعنى الخاص فهو خاص بمفهوم الإستشراق وهو الذي يعنينا وهو "الذي يعنى بالدراسات المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً في كتابات المستشرقين المعنيين "[٤].

وهكذا يتضح لنا من خلال ما سبق أن الإستشراق ليس له معني محدد متفق عليه وقد علل ذلك أحد المستشرقين الغرب فقال:

---

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر – د/ أحمد بمبابلوفيتشي ص ٢٨ – ط دار المعارف.

(٢) الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر –د/ عدنان محمد وزان ص ١٥ سلسلة دعوة الحق – ط رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة سنة ١٩٨٤م

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – د/ محمود حمدي زقزوق – كتاب الأمة – ص ١٨ – ط قطر سنة ١٩٧٨م .

(٤) المصدر السابق – الصفحة نفسها.

"وجاء عدم تحديد مفهوم الإستشراق بسبب تداخله في علوم متعددة حيث إن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار، والحفريات، والمؤرخ، وعالم الصرف والاشتقاق، وعالم الأصوات، والفيلسوف، وعالم اللاهوت، والموسيقى، والفنان"(١).

وعلى أية حال، فإن معظم المهتمين بالدراسات الإستشراقية من المستشرقين ومن شايعهم، إنما يعنون بتشويه صورة الإسلام وتحريف عقائده فالمستشرقون "إما من رجال الدين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، أو من رجال الاستعمار والملحدين الذين يهتمون بزعزعة الاستقرار والسلام والطمأنينة وإثارة القلاقل لتكون السيطرة والهيمنة لهم فيسومون الناس سوء العذاب" (٢).

ب- نشأة الإستشراق :

مما لا شك فيه أن لكل مذهب من المذهب ولكل حركة من الحركات الإلحادية التي تنشأ بين الحين والآخر بداية معلومة أحياناً ومجهولة أحياناً أخرى، ومن هنا فقد اختلفت آراء الباحثين وتفرقت أقوالهم حول نشأة الإستشراق.

فذهب فريق من الباحثين إلى القول بأن الإستشراق نشأ في القرن العاشر الميلادي على يد الراهب الفرنسي "جريردي أورالياك" "٩٤٠ - ١٠٠٣م" نشأ الذي قصد الأندلس وتتلمذ على أساتذتها في أشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوربا بالثقافة

---

(١) المستشرقون البريطانيون - ت/ محمد الدسوقي النويهي - آربري ص ٨ - ط لندن.

(٢) الاستشراق والمستشرقون - وجهة نظر - ص ١٨

العــربية والــذي تقلد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني [1].

بينما يري فرق آخر أن الإستشراق نشأ في القرن الثاني عشر المــيلادي حيث تمت ترجمة معاني القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية عــام (٥٢٨ هـ - ١١٤٣م) بتوجــيه من الأب "بيتروس" رئيس دير كلوني، كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي[2].

ويــشير فــريق آخر من الباحثين إلى أن الإستشراق نشأ في القــرن الثالث عشر الميلادي حين أمر "ألفونس العاشر" ملك قشتالة (١٢٥٢ – ١٢٨٤م) بإنشاء معهد الدراسات العليا في مرسيليا (١٢٦٩ م) واخــتار لــه أعــلام المــسلمين والنصارى واليهود، وعهد إليهم بالترجمة والتصنيف[3].

ويــذهب فــريق آخــر من الباحثين إلى القول بأن الإستشراق أصــبح تخصصاً رسمياً في العالم النصراني بناءً "على قرار مجمع فينا الكنــسي الصادر سنة (١٣١٢م) الذي ينص على "إقامة عدة مناصب جامعــية للأستاذية في اللغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية والفارسية والتركية بكل من جامعات باريس وأكسفورد وغيرها"[4].

---

(١) أنظــر المستــشرقون – نجــيب العقيقي – ج١ ص١١٠ وقارن أضواء على الاستشراق والمستشرقين- د/ محمد أحمد دياب- ص١٣ – ط دار المنار.

(٢) أنظــر أضواء على الاستشراق – د/ محمد عبد الفتاح عليان – ص ٧ ط دار الـبحوث العلمــية الكــويت ١٩٨٠م وأيضاً راجع فلسفة الاستشراق د/ أحمد سمايلوفتيش – ص ٥٥.

(٣) فلسفة الاستشراق – ص٥٧ وقارن الاستشراق والخلفية الفكرية – ص ٢٠٠.

(٤) أنظــر الاستشراق – د/ عبد الفتاح الديدي – ص ٧٠ / ط دار الثقافة. وأيضاً راجع مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية – د / أحمد السايح ص ٤٧.

هذا ويقرر بعض الباحثين أن الإستشراق نشأ في الفترة نفسها التي ولد فيها التبشير أي مع بداية القرن السادس عشر الميلادي وهو عصر بداية الهجوم على العالم الإسلامي [١].

وهناك من يربط بين ظهور الإستشراق وبداية الأطماع الأوربية الاستعمارية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي، حين ضعفت قبضة الدولة العثمانية، مُنع الأوربيين من الاتصال بالشرق فترة ثم ما لبثت أوربا أن تدخلت في شئون الشرق، فكان ذلك بداية الإستشراق[٢].

وعلى ذلك يمكننا أن نستخلص من خلال ما سبق أنه لا يوجد اتفاق على الفترة زمنية معينة لنشأة الإستشراق، ويبدو أن هذه الآراء منقولة عن آراء المستشرقين أنفسهم نقلها عنهم تلاميذهم الذين تعلموا في مدارس الغرب أو في مدارس العالم الإسلامي الخاضعة للمنهج الإستشراقي والحقيقة أن الواقع التاريخي يؤكد لنا: "أن الإستشراق بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي، الثاني عشر الهجري باتفاق أهل الكتاب الشرقيين والغربيين على السواء في آن واحد" [٣].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: متى بدأت الدراسات العربية الإسلامية في أوربا؟ ومتى بدأ الاشتغال بالحضارة الإسلامية؟

---

(١) المستشرقون – نجيب العقيقي – ج١ ص ٧٢.

(٢) المستشرقون والتاريخ الإسلامي – د/ علي حسني الخربوطلي – ص ٢٥ – ط المجلس الأعلى للشئون للإسلامية سنة ١٩٧٠م.

(٣) أضواء على الاستشراق والمستشرقين – د/ محمد أحمد دياب – ص ١٤.

للإجابة على ذلك نقول:

يمكننا القول بأن الدراسات العربية الإسلامية بدأت بالفعل بعد الحروب الصليبية، ذلك لأن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوربيين آثاراً مريرة، ومن هنا بدأت حركة الإصلاح الديني المسيحي، ذلك أن المسيحيين قد شعروا بحاجة ضرورية لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ومحاولة فهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح الجديدة، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرية وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية لكن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوي، وبمرور الزمن أتسع نطاق الدراسات الشرقية التي شملت أدياناً وثقافات غير الإسلام وغير العرب.

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الإستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي[١].

إذن يتضح لنا من خلال ما سبق أن ظهور الإستشراق كان نتيجة للصراع القائم بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطي من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى.

ولما كان العالم الإسلامي يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا، قامت الحملات التبشيرية من جهة تدعو إلى النصرانية، ومن جهة أخرى اندفعت رغبات المستشرقين في الكتابة

---

(١) أنظر المبشرون والمستشرقون – د/ محمد البهي – ص ٢٥ : ٢٧ – ط مصر سنة ١٩٦٣م بتصرف.

ضـد الإسـلام والطعن فيه والطعن في نبيه سيدنا محمد ﷺ دون سند يؤيدهم من الحقيقة أو الواقع.

ولقـد بلـغ الحقـد بهـؤلاء الأعداء أن لقنوا أطفالهم أناشيد يعلمونها لصغارهم في المدارس منها على سبيل المثال ما نصه: «إني ذاهـب يا أمي إلى الجهاد لمحو القرآن وإذا مت فلا تحزني على وإن سئلت عن السبب في عدم حدادك على فقولي وأنني فرحة لقد استشهد في سبيل القضاء على الإسلام» [1].

وهكـذا يتـضح لنا من خلال هذه الكلمات السخيفة مدى حقد هؤلاء المستشرقين على الإسلام والمسلمين حتى أنهم يغرسون جذور الحقـد في قلوب الصغار من الأطفال حتى إذا ما شبوا وجدوا أنفسهم فـي نفور عنه بل أنهم يكونوا أشد كراهية لهو من آباءهم وأجدادهم أنفسهم.

ج- مخططات المستشرقين تجاه الإسلام:-

بادئ ذي بدء نود أن نوضح حقيقة هامة ألا وهي أن مخططات المستشرقين لهدم الإسلام وتعاليمه قد انطلقت من خلال أمرين أساسيين كان لهما أبلغ الأثر في توجيه الدراسات الإستشراقية فيما بعد.

---

(١) التبـشير والاستشراق أحقاد وحملات – د/ محمد عزت الطهطاوي – ص ٤٨. ط مجمـع الـبحوث الإسلامية سنة ١٩٧٧م – وقارن الاستشراق وخطره على العقـيدة الإسـلامية – د/ أحمد فهمي على / بحث في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – العدد (١٣) ص ٣٤٦.

الأمر الأول: يتمثل في النزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت علـــى أذهان المستشرقين وغطت على أفكارهم، فجاءت دراساتهم في ثوب تنصيري، ذلك لأن الإستشراق قد ارتبط في معظم مراحله ارتباطا وثيقاً بالمؤسسات التبشيرية التنصيرية.

الأمر الثاني: النزعة الاستعمارية التي تهدف إلى السيطرة على جميع البلاد الإسلامية بغية القضاء على الإسلام وهدم عقائده.

ومن هنا فقد دأب المستشرقون منذ القدم على تشويه صورة الإسلام وطمس معالمه وتشويه عقائده لكي ينفروا الناس من الدخول فيه وقبول تعاليمه، ولتحقيق أغراضهم الدينية فقد عمدوا إلى نشر الكثير من الأكاذيب والافتراءات حول الإسلام وتعاليمه ونبيه الكريم سيدنا محمد ﷺ .

هذا وقد تركزت مخططات المستشرقين تجاه الإسلام في تحقيق الأهداف الآتية:

١- القضاء على الدين الإسلامي وطمس معالمه وتحريف عقائده وتشويهها، ولتحقيق ذلك الهدف عمل المستشرقون على نشر فكرة أن الدين ظاهرة اجتماعية لم تنزل من السماء وإنما خرجت من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها، وكان "دور كايم" اليهودي زعيم مدرسة العلوم الاجتماعية هو أول من نادى بتلك الفكرة التي خدع بها – للأسف – الكثير من الأسماء اللامعة من الذين تلقوا تعليمهم في السربون وغيرها وفي مقدمتهم "طه حسين" و "محمود عزمي" وغيرهما[١].

---

(١) أنظر أضواء على الاستشراق – ص ٥١: ٥٢.

وهكـــذا يحاول المستشرقون أن يشككوا في عالمية الإسلام بدعـــوى أن الـــدين ظاهـــرة اجتماعـــية، وهم بذلك يفتحون الباب لأصـــحاب الدعوات الهدامة المتمثلة في البابية والبهائية والقاديانية لنـــشر فكـــرهم الـــزائف المنحل المتستر وراء الدعوة إلى الإسلام والإسلام منهم براء.

٢- التشكيك في نبوة سيدنا محمد ﷺ وذلك بإثارة الكثيرة من الشبهات حول الرسول ﷺ والوحي الإلهي، فذكروا أن القرآن الكريم من فيض وجدان النبي ﷺ وصورة من انطباع نفسي بما كان يدور حوله ويقع أمام عينيه، وذكروا أن الوحي الإلهي ليس وحياً منزلاً من رب العالمين وإنما هو وحي من داخل النفس(١).

٣- كذلك أيضاً من أهم مخططات المستشرقين لهدم الإسلام والقضاء عليه، التشكيك في السنة النبوية المطهرة باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم فذكروا "أن القسم الأكبر من الحديث ليس صحيحاً أنه وثيقة في عهده الأول ولكنه أثر من آثار جهود المسلمين في عصر النضوج، ذلك لأنه لما وقعت الخصومة بين الأمويين والعلماء الأتقياء أخذ هؤلاء يشتغلون بجمع الحديث والسنة ونظراً لأن ما وقع في أيديهم لم يكن ليسعفهم في تحقيق أغراضهم أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوباً فيها ولا تتنافى والروح الإسلامية، كذلك فإن الحكومة إذا ما أرادت أن تعمم

---

(١) المصدر السابق – ص ٥٢.

رأياً أو تسكت هؤلاء الأتقياء أتت أيضاً بالحديث الموافق لوجهات نظرها فكانت تعمل ما يعمله خصومها[1].

ولم يكتفوا بذلك وإنما عمدوا إلى الطعن في الصحابة أمثال أبو هريرة، والتابعين أمثال الإمام الزهري وزعموا أن الإمام الزهري قد وضع أحاديث مدسوسة كثيرة تؤيد وجهة نظر السلطة الأموية.

٤- كذلك من مخططات المستشرقين التي حرصوا على تحقيقها الطعن في الشريعة الإسلامية فزعموا أنها صورة معدلة من القانون الروماني وأنها تتصف بالقسوة في الأحكام كما أنها غير مسايرة لحاجات العصر.

وذكر "كريمر" في كتابه "تاريخ الثقافة في الشرق" أن إثنين من الفقهاء المسلمين الأوائل – الأوزاعي والشافعي – قد ولدا في سوريا وكانا على علم بكثير من قواعد القانون الروماني البيزنطي التي استمرت في صورة عادات قانونية [2].

٥- ومن أبرز مخططات المستشرقين لهدم الإسلام تفتيت الوحدة الإسلامية والتشكيك في صلاحية النظام الإسلامي للتطبيق وعجزه عن العطاء لأصحاب الأديان الأخرى، ومن هنا فقد ركزوا على الدفاع عن القوميات المحلية والإقليمية لضرب الوحدة الإسلامية.

---

(١) مجلة منار الإسلام – العدد الأول ص ٥٤ سنة ١٩٨٤م.

(٢) منار الإسلام – العدد الثامن – ص ٧٦ سنة ١٩٨٩م.

هذا ولم يكتف المستشرقون بتحقيق هذه الأهداف فحسب، وإنما كانت لهم أهداف متنوعة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية حرصوا على تحقيقها لكن المجال لا يتسع هنا لعرض هذه الأهداف.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو:- هل نجح المستشرقون بالفعل في تحقيق أهدافهم ومخططاتهم نحو الإسلام أم أنهم فشلوا في ذلك؟

وللإجابة على ذلك السؤال نقول :

لقد عمل المستشرقون على تحقيق أهدافهم وغاياتهم للطعن في الإسلام والقضاء عليه بشتى الوسائل ولا يزالون يواصلون جهودهم لهدم الإسلام والتشكيك في عقائده، والواقع يؤكد لنا أن الإستشراق لا يزال يصوب سهامه إلينا، وللأسف الشديد لا يزال المسلمون في حاجة إلى جهود مضنية لرد كيد المستشرقين والقضاء على أفكارهم الزائفة، خصوصاً أن كثير من الشباب قد تأثر بأفكارهم وتتلمذ على أيديهم.

وقد أكد كثير من المستشرقين المعاصرين على أن التعصب الديني لا يزال موجوداً في كتاباتهم ولم يستطيعوا التخلص منه يقول "نورمان دانيل" «على الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما يتوهمون»[1].

---

(١) التبشير والإستشراق – محمد عزت طهطاوي- ص ٤٥.

مخططات المستشرقين للطعن في النبوة والوحي الإلهي :-

لا يخفى علينا أن الوحي هو الركن الأساسي في النبوات، فهو الـصلة التي تربط الأرض بالسماء وعن طريقه يعرف النبي أنه نبي، ذلـك لأن النبوة والوحي وجهان لعملة واحدة فكل منهما مكمل للآخر، فـلا نـبوة بدون وحي ولا وحي بدون نبوة، فهما حلقتان متصلتان لا يقـبلان الفـصل بحـال من الأحوال، بيد أن الوحي هو المفتاح لباب النـبوة، ولمـا كـان الأمـر كـذلك فقد رأينا أن نوضح أولاً موقف المستـشرقين مـن الوحـي الإلهي ثم نتبعه بالحديث عن موقفهم من النبوة، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: موقف المستشرقين من الوحي الإلهي :-

بـادئ ذي بـدء قـبل أن نتحدث عن موقف المستشرقين من الوحـي الإلهـي نـود أن نلقـي الـضوء أولاً على المفهوم اللغوي والاصـطلاحي للوحـي وأنـواعه وإمكانه، ونوضح الفرق بينه وبين الإلهـام حتـى يتـسنى للقارئ فهم ما ذكره المستشرقين عن الوحي الإلهي، فنقول:

أولاً: مفهوم الوحي :

أ- **الوحـي فـي اللغـة**: الإعلام في خفاء[1].

---

(١) التحقيق التام في علم الكلام – ت / محمد الحسيني الظواهري – ص ١٦٠– ط الأولى سنة (١٣٥٧ هـ – ١٩٣٩) – الناشر مكتبة النهضة المصرية.

ومـن هـنا فقد ورد في لسان العرب له إطلاقات متعددة كلها تدور حول هذا المعنى: فالوحي يطلق على الإلهام، والإشارة والكتابة، والرسـالة، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام، وأوحيت إليه، ووحَّي وحياً، وأوحي أيضاً أي كتب[1].

وفـي إطار هذا المعنى اللغوي الشامل لكل هذه الإطلاقات ورد الوحي في أسلوب القرآن الكريم بمعان مختلفة منها ما يلي :

١- الإلهام والتسخير: كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [2].

٢-وورد الوحي كذلك بمعنى الإشارة : كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ [3].

٣-وورد بمعنى إلقاء الله بما يريد إلقاءه للملائكة : كما في قوله تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4].

٤-وورد بمعنى الوسوسة: كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [1].

---

(١) لـسان العـرب – لابن منظور – ج ١٥ ص ٣٧٩ مادة وحي – وكذلك أنظر مختار الصحاح – للرازي – ص ٧١٣.

(٢) سورة النحل: الآيات (٦٨ ، ٦٩).

(٣) سورة مريم: آية (١١).

(٤) سورة الأنفال: آية (١٢).

٥-وقد يطلق الوحي ويراد به الموحى به: فيكون معناه كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

وذكر "ابن فارس" في معجمه أن الواو والحاء والحرف المعتل "وحـــي" أصـــل يـــدل على إلقاء علم من أحد لغيره فالوحي: الإشارة، والكـــتابة والرسالة والإلهام والصوت، وكل ما ألقيته إلى غيرك فعلمه فهو وحي[٣].

مـــن بـــاب وحـــي إليه الكلام يحييه وحياً، وأوحي وهو يكلمه يخفيه (وحي) وأوحي أي كتب أو أشار[٤].

إذن فالوحي يطلق على الحركة التي تكون بين الملقي والملقى إليه وهي الإلقاء.

وهكـــذا يتضح لنا من خلال ما ذكرناه من المعاني والإطلاقات الـــسابقة أنها جميعاً تعود إلى أصل واحد وهو الإعلام في خفاء، ذلك لأن الأصـــل فـــي الوحي هو الخفاء، بيد أن بعض العلماء يضيف إلى الخفـــاء السرعة، فنجد الشيخ "محمد رشيد رضا" يعرف الوحي بمعناه اللغوي فيقول:

«والقـــول الجامع في معنى الوحي اللغوي: "أنه الإعلام الخفي الـــسريع الخـــاص بمن يوحى إليه حيث يخفى على غيره"[١] وذكر أن

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٢١)

(٢) النجم : آية (٤)

(٣) معجـــم مقايـــيس اللغـــة – لابـــن فارس مادة وحي وراجع القاموس المحيط – للفيروز أبادي – باب الياء فصل الواو – ج٣ ص ٣٣٥.

(٤) مخـــتار الـــصحاح – للإمام أبو بكر الرازي – ت / محمود خاطر – ج٢ ص ٢٢٥ ط دار المعارف.

وحـــي الله تعالى لأنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما الخفاء والسرعة وهذا معنى المصدر، ويطلق الوحي على متعلقة وهــو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول وهو ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتاباً أي تشريعاً يكتب، ومنهم من لم يعطه»(٢).

ب- مفهـوم الوحـي شـرعـا :-

الوحي بمعناه الشرعي عُرف بأنه "إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه"(٣).

وعرفه الإمام "محمد عبده" بأنه: "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت "(٤).

ويقصد الإمام "محمد عبده" باليقين في هذا التعريف يقين النبي أن مـــا وصـــل إلـــيه من معرفة أنها من قبل الله عز وجل سواء أكان بواسطة ملك الوحي أم بدون واسطة.

وهكذا يتضح لنا من خلال تعريف الوحي شرعاً أن التعريف الأول للوحي تعريفاً بمعنى الموحى به بينما التعريف الثاني للوحي فهو بمعنى الإيحاء.

---

(١) الوحي المحمدي – للشيخ محمد رشيد رضا – ص ٣٥ – ط القاهرة.

(٢) المصدر السابق – الصفحة نفسها.

(٣) رســالة التوحيد – للشيخ محمد عبده – تعليق / محمد رشيد رضا – ص ١٠٩ الناشر مكتبة القاهرة – ط سنة ١٣٧٩هـــ – ١٩٦٠م .

(٤) المصدر السابق / الصفحة نفسها.

والحقيقة أن الوحي بمعناه اللغوي عام يشمل كل إعلام في خفاء وأما بالمعنى الشرعي فهو خاص لا يتناول إلا ما كان من الله عز وجل لنبي من أنبيائه، وبذلك يختلف الوحي عن الإلهام.

وهنا نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه ألا وهو :

ما الفـرق بيـن الوحـي والإلهـــام؟

وللإجابة على ذلك التساؤل نقول:

يفرق الإمام "محمد عبده" بين الوحي والإلهام فيقول: «ويفرق بينه – أي الوحي – وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستقيه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى" [1].

إذن فالوحي عند الإمام مصدره الله عز وجل ولذلك فهو يقيني، وأما الإلهام فهو حالة وجدانية تحدث في النفس من غير شعور بمصدره كالفرح والحزن والجوع والعطش، فالإلهام مصدره غير معروف ولذلك فهو ظني.

ويـــرى الإمام "الغزالي" أن «الوحي حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء، فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي فكذلك الإلهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبته للوحي» [2].

وجملة القول: أن الوحي هو ما كان من عند الله عز وجل لنبي مـــن أنبـــيائه، فالوحي خاص بالأنبياء فقط وأما الإلهام فقد يكون لغير

---

(١) المصدر السابق – ص ٨٩.

(٢) مجمـــوعة القصور العوالي من الرسالة اللدنية – للغزالي – ج١ ص ١١٦ ط مكتبة الأزهر .

الأنبـياء فــلا يصح أن يكون مصدراً لكتاب سماوي منزل من عند الله تعالى.

ج- أنـواع الـوحــي :-

للوحي أنواع وطرق متعددة منها ما يلي:

١- مــا يكون إلهاماً يقذفه الله تعالى في قلب من اصطفاه للنبوة على وجــه العلم الضروري الذي لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً بأن هذا الوحي من الله تعالى، وفي السنة النبوية أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الإلهام، ومن ذلك ما ورد في حديث الرسول ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن توت حتى تستوفي رزقها وتستكمل أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[١].

وأيضاً قوله ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارق وعش ما شئت فإنك ميت وأعمل ما شئت فإنك مجزي به »[٢].

٢- من أنواع الوحي الرؤيا المنامية الصادقة، فإن رؤيا الأنبياء صدق وحــق وليست من قبيل ما يحدث لسائر البشر من أضغاث أحلام نتــيجة لــرغبات مكـبوتة، إذ الأنبياء بما وصلوا إليه من الكمال البشري تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم، وقد حدثنا المصطفى ﷺ في بداية الوحي عن الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلــق الـصبح، فقد روى عن السيدة عائشة - رضي الله عنها -

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ت / محمد فؤاد عبد الباقي - ج١ ص ٤٨ - ط دار الفكر .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والأصغر.

أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»(١).

وكذلك أيضاً رؤيا الرسول ﷺ أصحابه يدخلون المسجد الحرام وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة حيث قال جل شأنه في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾(٢).

ومنه أيضاً رؤيا سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، وقد اعتبر سيدنا إسماعيل أن رؤيا أباه حق بمثابة الأمر الإلهي الواجب تنفيذه، وبالفعل شرع سيدنا إبراهيم عليه السلام في تنفيذ ما أمره الله به في رؤياه ولكن الله عز وجل أكرمه ففدى سيدنا إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم وقد سجل لنا القرآن الكريم تلك الواقعة فقال تعالى ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

٣- من أنواع الوحي وصوره أيضاً كلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بكلام يسمعه ويدرك معناه ويفهمه مع تيقنه بأنه كلام الله عز

---

(١) فتح الباري – ج١ – ص ٢٣ باب بدء الوحي.

(٢) سورة الفتح آية: (٢٧).

(٣) سورة الصافات الآيات : (١٠١ : ١٠٧).

وجل وليس كلام أحد سواه وهذا النوع من أنواع الوحي قد يكون بواسطة وقد يكون بدون واسطة:

أ- فقد يكون الوحي بواسطة الملك جبريل عليه السلام وهذا أغلب أنواع الوحي لرسولنا سيدنا محمد ﷺ ولغيره من الرسل، والقرآن الكريم كله من هذا القبيل - أي أنه نزل على الرسول ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام - ومما يشهد لنزول القرآن كله بواسطة ملك الوحي قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١).

وهذا النوع من الوحي له أحوال وصور:-

١- فتارة يرى النبي الملك على صورته الأصلية وحقيقته التي خلقه الله عليها ويتعلم منه مباشرة ما جاء عن الله تعالى وذلك كما حدث للنبي ﷺ وهو في غار حراء في أول لقاء بينه وبين جبريل عليه السلام عندما أخبره بأنه نبي وقال له ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٢).

٢- وتارة يراه متمثلاً في صورة رجل كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة "دحية الكلبي" أو في صورة رجل أعرابي كما في حديث الإيمان والإسلام .

---

(١) الوحـــي والقـــرآن الكريم - د/ محمد حسين الذهبي - ص٩ - ط الأولى سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، الناشر مكتبة وهبه وكذلك أنظر مجلة كلية أصول الدين بأسيوط - العدد (٨) سنة ١٩٩٠م - ص ٣٤ مقال د/ محمد كامل مهران - ط دار البيان القاهرة - والآيات من سورة الشعراء رقم (١٩٢: ١٩٤).

(٢) المصادر السابقة - الصفحات نفسها.

٣- وتارة أخرى لا يرى الملك لا في صورته الأصلية ولا في صورة أخرى وإنما يسمع منه ويعيه قلبه، كأن يسمع وقع أقدام أو دوياً عند وجهه كدوى النحل أو صوت صلصلة جرس، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم الذين حول الرسول ﷺ يدركون أن الرسول ﷺ في تلك الحالة يوحى إليه(١).

ب- وقد يكون الوحي بغير واسطة بأن يكون كلام الله لنبيه مباشرة كما حدث مع سيدنا محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج، وكما حدث لموسى عليه السلام عندما ذهب لميقات ربه وناداه ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (٢). وأيضاً قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (٣).

ولا يخفي علينا أن كلام الله تعالى لأنبيائه يكون بكيفية مخصوصة بلا حرف ولا صوت على النحو الذي نألفه بين سائر المتخاطبين من البشر من مكاشفة ومشافهة، ذلك لان الله تعالى قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

د- إمكان الوحي ووقوعه:-

عندما نتحدث عن إمكان الوحي نجد أنه يدور حول :-

١- وجود موحٍ وهو الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة طه : الآية (١٢).

(٣) سورة النساء: آية (١٦٤).

٢- النبي المُوحى إليه من قبل الله تعالى .

٣- الملك الذي يبلغ الوحي .

أولا: النبي الموحى إليه من قبل الله تعالى

ممـــا لا شك فيه أن البداهة تشهد بأن درجات العقول متفاوتة يعلــو بعــضها فوق بعض فما يدركه الأعلى يقصر عنه الأدنى كما أن النفوس ليست على وتيرة واحدة من الصفاء والنقاء وإذا كانت العقول هبه من الله تعالى تتفاوت في الإدراك، إذن فلا مانع عقلاً من أن تكون هــناك نفــوس بشرية خصها الله بكمالات تهيئها لعلم حقائق الأشياء، ويكــون لها من الصفاء والنقاء ما يمكنها من الاتصال بالملأ الأعلى، وتكون لديها من القوة ما تستطيع أن ترى الملك في صورته الحقيقية أو تــسمع صــوته وتفهم ما يوحى به ثم تبلغ ما تلقته إلى الناس[1]. وهذا هو الركن الأول في إمكان الوحي.

ثانياً: الركن الثاني في إمكان الوحي

وهــو وجود الملك الذي يقوم بتبليغ من صفت نفسه واصطفاه الله للقيام بأعباء النبوة ولا شك أن "وجود الملك ليس أمراً مستحيلاً بل هو ممكن عقلاً فقد أرشدنا العلم قديماً وحديثاً بأن من المواد ما بعضها ألطــف مـــن بعــض فبعض المواد تدرك آثارها بالحس وبعضها ليس محــسوس فإذا كان هذا واقع في المادة بالفعل فما المانع عقلاً من أن

---

(١) العقيدة الإسلامية في النبوات – د/ عبد العزيز تمام يوسف ص ١٤ – بتصرف واختصار – ط الأولي سنة ١٩٩٠م – دار الطباعة المحمدية.

يكــون لــدى الأنبياء قدرة على الاتصال بهذا الأسلوب ورؤيته بحسب استعداداتهم النفسية" [1].

إذن فمــا دام توافــر وجود النفس الطاهرة الذكية التي تتلقى الوحــي ومــا دام توافر وجود الملك الذي يقوم بتبليغ النبي وحي الله تعالــى فإمكان الوحي ليس يمتنع بل هو واقع بالفعل ومن ينكر الوحي ولا يــسلم بوقــوعه يهدم الدين من أساسه ويطعن في دعامته الأولى وعماده المتين.

أما دليل وقوع الوحي بالفعل:

للتدليل على وقوع الوحي بالفعل نقول: «إن الوحي ممكن أخبر بوقوعه الصادق المعصوم وهو الرسول ﷺ، وكل ممكن أخبر بوقوعه الــصادق المعــصوم فهــو واقــع فعلاً ويقيناً إذن فالوحي واقع فعلاً ويقيناً»[2].

وهذا دليل منطقي سليم لا يحتاج في صدق نتيجته للتدليل على صدق مقدماته.

هذا ويضاف إلى خبر المعصوم في التدليل على وقوع الوحي بالفعل "المعجزة الخارقة التي يظهرها الله على يد مدعي النبوة وهذه المعجزة دليل لمن حضر زمن النبي وعاصره وشهد وقوع المعجزة

---

(١) المصدر السابق – ص ١٥.

(٢) الوحــي والقــرآن الكريم – د/ محمد حسين الذهبي – ص ١٨ – الناشر مكتبة وهبة – ط الأولى سنة ١٤٠٦ هــ – ١٩٨٦م.

وظهورها على يديه فإن ذلك يفيد اليقين، وأنه صادق في دعواه وبأن الوحي ينزل عليه"[1].

كـــذلك أيضاً يستدل على وقوع الوحي "بالخبر المتواتر بوقوع الوحي بالنسبة لمن هو غائب عن عصر النبي والمتواترات أحد أقسام الـــضروريات والخبر المتواتر هو رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطئهم على الكذب"[2].

وجملة القول في إمكان الوحي ووقوعه أننا نرى أن الوحي من الأمور الممكنة التي لا يمكن إنكارها لأنها ثابتة بالتواتر التاريخي عبر العصور، ونستدل على إمكان الوحي بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [3].

وبعـــد أن تحدثنا عن مفهوم الوحي وإمكانه ووقوعه نبدأ الآن فـــي عرض موقف المستشرقين من الوحي الإلهي والرد عليهم فنقول وبالله التوفيق:

لا يخفى علينا أن الوحي هو الأساس للاعتقاد بالنبوة، فالوحي هو المفتاح لباب النبوة، وهو الوسيلة التي أنزل الله تعالى بها العقائد والأحكـــام الـــشرعية على الأنبياء، ومن هنا فقد أهتم كثير من أعداء الإســـلام بإثـــارة الشكوك حول الوحي الإلهي مقتفين بذلك أثر سفهاء

---

(١) العقيدة الإسلامية في النبوات – ص١٦.

(٢) المـــصدر السابق – الصفحة نفسها وكذلك راجع رسالة التوحيد – للشيخ محمد عبده – ص١٦.

(٣) النساء : آية (١٦٣).

قــريش فـــي إدعـــاءاتهم الكاذبة حول الرسول ﷺ حين قالوا عنه أنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون.

ومن هذا المنطلق فقد بذل كثير من المستشرقين الحاقدين على الإسلام جل جهودهم للطعن في الوحي الإلهي وبالتالي نفي نبوة سيدنا محمـــد ﷺ وسلبها عنه، فذكروا أن ما جاء به الرسول ﷺ ما هو إلا نـــتاج بشرى اختلقه من نفسه وليس من عند الله تعالى، وحاولوا أن يفسروا الوحي الإلهي تفسيرات جائرة لا أساس لها من الصحة تنطوي على مبلغ الحقد والكيد والعداء للإسلام والمسلمين.

هــذا وقــد تضاربت آراء وأقوال المستشرقين في بيان حقيقة الوحـــي الإلهي وبالرغم من ذلك التضارب في الآراء والأقوال إلا أنـهم اتفقـــوا علــــى إنكار الوحي الإلهي مطلقاً فجاءوا بتفسيرات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التي كانت تنتاب الرسول ﷺ إبان نزول الوحي عليه تفسيرات واهية لا يصدقها العقل.

وإلـيك طـرفاً مـن شـبـهات المستـشرقين الواهـية حـول الوحي الإلهي:

١- الشبهة الأولي:-

حاول بعض المستشرقين القدامى المتعصبين تعصباً أعمى ضد الإســلام وعلـــى رأســـهم المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" تفسير الوحـــي الإلهي تفسيرات واهية لا أساس لها من العلم والموضوعية، ولا يصدقها العقل ولا يقرها الواقع ولا الخيال ولا المنطق.

فذكــر أن الوحـــي الإلهي ما هو إلا أمر ذاتي من حديث نفس الرســـول ﷺ وإلهامهـــا حـــيث "إن محمـــداً كان من أصحاب النفوس

الصافية، والخيال الواسع والإحساس العميق والعقل المتوقد، ولذا إنصرف في وقت مبكر إلى التفكير في المسائل الدينية ولم يجد في العبادة الوثنية التي تقوم من حوله ما يروى ظمأه الروحي" [1].

وهذه الأفكار ولدت إلهاماً في نفسه فاض من عقله الباطن على مخيلته وانعكس على بصره وسمعه فتصور أنه يرى ملكاً يخاطبه أو يتمثل له رجلاً أو يرى في منامه ما اعتقد أنه وحي من الله كلف بإبلاغه إلى بني وطنه[2].

وهكذا يتضح لنا من خلال ما سبق أن المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" ومن تابعه من المستشرقين المتعصبين يوجه سهام نقده نحو الوحي الإلهي فيحاول تفسيره على أنه نوع من الإلهام وقع في نفس سيدنا محمد ﷺ أو نوع من الخيال حيث وقع في مخيلته أنه شاهد ملكاً يخاطبه وأحياناً أخرى يتصور أنه يراه متمثلاً في صورة رجل يشاهده ببصره ويسمع كلامه ويرد عليه.

وللرد على ذلك نقول

١- يقال لهم أن الوحي ليس أمراً ذاتياً نابعاً من داخل نفس النبي وإنما هو أمر خارج عن نفسه جاء به جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل إليه ﷺ بدليل قوله تعالى﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية – كارل بروكلمان – ص ٣٤ ط دار المعارف.

(٢) المصدر السابق – ص ٦٨ وأيضاً راجع مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ت/ نخبة من العلماء ج١ ص ٢٢٨ – ط الرياض.

الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١).

وجبريل عليه السلام ملك منفصل عن ذات النبي وليس جزءاً منها أو خيالاً فيها، وإنما له ذاته الخاصة به وصفاته التي أشار إليها الله عز وجل في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(٢).

٢- أن النبي ﷺ لم يكن يتطلع إلى مقام النبوة، ولم يكن يطمع في الحصول عليها، فلم يرد في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ كان يتطلع لأن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه قساوسة النصارى وكهنة اليهود قبل البعثة ولقد نفي القرآن الكريم ذلك عنه فقال في محكم آياته ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ (٣). إذن فالوحي نعمة وفضل من الله تعالى على رسوله الكريم ورحمة بالعباد.

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار – غار حراء – عام الوحي فلا شك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوهبي ولذلك الاستعداد السلبي من العزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم ولكنه لم يقصد به الاستعداد للنبوة لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأي الملك أو عقب رؤيته حصول مأمولة وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء

---

(١) سورة الشعراء الآيات: (١٩٢ : ١٩٥).

(٢) سورة التكوير الآيات: (١٩:٢١)

(٣) سورة القصص آية (٨٦).

والتحنث اشتداد الوحشة من سوء حال الناس والهرب منها إلى الأنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها[١].

٣- يقال لهم أيضاً أن الرسول ﷺ عاش ونشأ في بيئة بدوية وثنية، فكان أمياً لا معرفة له بالقراءة ولا الكتابة ولكنه كان يذهب إلى غار حراء يتعبد معتزلاً الناس ولم يكن له أي علم ولا معرفة إلا ما تعلمه من مجتمعه البدائي، وهو في هذه الحال عندما ينزل عليه الوحي بالقرآن الكريم وفيه من الحقائق التاريخية والكونية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة التي لم يسبق أن فكر بها أو ذكرها و أهتم بها هو أو أي واحد في عصره من بيئته أو غيرها[٢].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن هذه التشريعات والأحكام والحقائق العلمية لا يمكن أن يكون جاء بها هذا النبي الأمي من تلقاء نفسه، وإنما لابد أن يكون مصدرها خارج عن ذات النبي فهي صادرة عن الخالق العظيم المطلع على غيب السموات والأرض بواسطة الوحي المنزل من قبل الله عز وجل إلى النبي ﷺ قال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣].

---

(١) أنظـر الوحي المحمدي – الشيخ/ محمد رشيد رضا – ص ٧٦ – ط الزهراء للإعلام العربي.

(٢) أنظـر أصـول الدين الإسلامي – د/ رشدي عليان – ص ٢٦٤ ط الثانية سنة ١٩٨١م.

(٣) سورة يونس الآية: (١٦).

قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أي أن ما جئتكم به كان عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا إفتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله تعالى لا تنتقدون على شيئاً تغمضوني به ولهذا قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي ليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل[1].

٤- كذلك أيضاً يقال لهم أن الوحي ليس أمراً ذاتياً نابعاً من نفس الرسول ﷺ بدليل أنه انقطع عنه فترة من الزمان حتى شق عليه ذلك وأحزنه وظل كذلك إلى أن نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى بقوله تعالى ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [2].

فلو كان الوحي نابعاً من ذاته ﷺ كما تدعون لكانت لديه ﷺ القدرة على جلبه وإحضاره في فترة انقطاعه لكن ذلك لم يحدث.

ويستدل على ذلك بما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عندما أبطأ جبريل في النزول عليه فقال له رسول الله ﷺ «ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت ؟ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً [3]﴾[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم – للحافظ ابن كثير –ج٢ ص ٤١٠ – ط دار المعرفة بيروت لبنان – سنة ١٩٨٥م.

(٢) سورة الضحى الآيات: (١:٣).

(٣) سورة مريم الآية: (٦٤).

كذلك أيضاً انقطع الوحي عن الرسول ﷺ لمدة شهر كما ورد في صحيح البخاري - باب حديث الإفك - وكان ﷺ في أشد الشوق إليه ليحل الأزمة التي حدثت من الإفك الذي رمي فيه المنافقون أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - بالفاحشة، فاستدعى الرسول ﷺ علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وأسامة بن زيد يستأمرهما في فراق أهله، فقال لها: «يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا أعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»(٢).

فلا شك أن تلك الحادثة تدل دلالة قوية على أنه ﷺ لا سيطرة له على الوحي وليست لديه القدرة على استحضاره في أي وقت وإنما هو أمر من عند الله تعالى ولو كان نابعاً من ذاته ﷺ لادعي نزوله حين حدوث الإفك وانقطع النزاع لكن ذلك لم يحدث الأمر الذي يؤكد لنا أن الوحي أمر إلهي طارئ يحدث فجأة، خارج عن النفس البشرية.

وعلى أية حال فكتب التفسير مليئة بالكثير من حوادث انقطاع الوحي وفتوره عن الرسول ﷺ، ولا يتسع المجال الآن لسرد جميع تلك الحوادث، غاية ما هنالك أننا نستنتج من خلال تلك الحوادث أن انقطاع الوحي عن الرسول ﷺ فترة من الزمن فيه دلاله قوية وقاطعة على أن الوحي أمر من عند الله وليس من تلقاء نفس الرسول وإلهامه،

---

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق (٥٩)- ج٤ - ص ٨٠.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الشهادات (٥٢) باب تعديل النساء بعضهن بعض - ج ٣ ص١٥٤ : ١٥٨.

وسكوت الرسول ﷺ في تلك الفترة وانتظاره وتشوقه لنزول الوحي عليه مرة أخرى يكفي لإخراس ألسنة المستشرقين.

٥- وأخيراً يقال لهؤلاء الأفاكين أن الوحي لو كان أمراً نابعاً من ذات الرسول ﷺ كما تدعون وليس من أمر الله، لكتم الرسول ﷺ العتاب الشديد الذي وجه إليه كما في قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[١]. وقوله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[٢]. ولكتم أيضاً اللين الذي وجه إليه في قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[٣].

لكن ذلك لم يحدث فقد بلغ النبي صلوات ربي وسلامه عليه كل ما أوحي إليه من العتاب الشديد أو الأمر الذي يؤكد لنا أن ما أوحي به إليه كان أمراً خارجياً، ولو كان نابعاً من ذاته كما زعم المستشرقون لكتمه وما ذكر منه شيئاً يتلى على ألسنة الناس.

وجملة القول، أن الوحي ليس من قبيل الحدس والشعور الباطني أو الإلهام الفائض من استعداد النفسي العالية والسريرة الطاهرة الملازمة للمجاهدات والرياضات الروحية. وإنما هو "أمر طارئ زائد على الطباع البشرية خارج عن النفس ولا يخضع لأي تأثير يطرأ عليها يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية بواسطة الملك الموكل بذلك" [٤].

---

(١) سورة عبس الآية: (١).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٦٧).

(٣) سورة التوبة الآية: (٤٣).

(٤) الوحي المحمدي – ص ٦٦.

وأما قدح "بروكلمان" ومن شايعه في إثبات الوحي لمحمد ﷺ، فهو بذلك "يعتبر قدح في ديانته أيضاً وفي رسوله الذي يؤمن به فما قاله هنالك في إثبات الوحي يلزمه أن يقوله هنا إذ لا فارق بين الوحيين"(١).

٢- الشبهة الثانية :

يرى بعض المستشرقين أن النبي ﷺ كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية والنفسية - كالصرع والهوس والجنون - التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً وقد نتج عن تلك الأمراض ما ادعى أنه وحي من الله تعالى.

فذهب المفكر الفرنسي "جوستاف لوبون" إلى أن التصرفات التي تعتري الرسول إبان نزول الوحي عليه ما هي إلا نتيجة لإصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات حيث يعتريه احتقان فغثيان، ومن هنا فهو يرى أنه يجب اعتبار سيدنا محمد ﷺ من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات وفي ذلك المعنى يقول ما نصه: «ونرى محمداً الثاقب النظر من الناحية العلمية من ذوى الهوس كما هو شأن أكثر مؤسسي الديانات، وليس في ذلك ما يحط من قدره فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين أنشئوا الديانات وقادوا الناس وإنما أولو الهوس هم الذين أقاموا الأديان وهدموا

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن - للحسن ضياء الدين العتر - ص ١٧٠ ط الأولي سنة ١٩٧٣م - دار النصر سوريا.

الدول، وأثاروا الجموع، وذللوا الصعاب، ولو كان القصد لا الهوس، هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر»(1).

هـذا وقـد فسر المستشرق الألماني "تولدكه" (2) الوحي "بأنه عبارة عن نوبات انفعالية طاغية كانت تصيب الرسول ﷺ أثناء نزول الوحـي علـيه وفي ذلك يقول: «وكانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهـيجة والإلهامـات المباشرة للحس أكثر من أن تأتي من التفكير الـنابع من العقل الناضج، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خـصومه، ومـع هـذا كـان يعـتقد أن مشاعره قادمة من الله بدون مناقشه"(3).

وذهـب بعـض المسـتشرقين أمثال "شبرنجر"(4) و"جوستاف فايل"(5) وغيرهم أنه ﷺ كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الـناس وعمـا حوله ويظل ملقي على أثرها بين الجبال لمدة طويلة،

---

(1) حضارة العرب – جوستاف لوبون – ت/ د/ عادل زعيتر– ص ١٤١: ١٤٢ – ط بيروت.

(2) نـولدكه : هـو تـيودورنولدكة زعيم المستشرقين الألمان، كان يحسن اللغات الشرقية وتوفي عام ١٩٣٠ م من أهم مؤلفاته "تاريخ القرآن" و"حياة النبي محمد" أنظر الأعلام– للزركلي. ج ٢ ص٩٦ – ط دار العلم للملايين.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – د/ عمر إبراهيم ج ١ ص٣٨٨ – ط دار طيبة.

(4) شـبرنجر: هو الويز شبرنجر ابن كرستوفر شبرنجر، مستشرق نمساوي يجيد الكثيـر مـن اللغـات وتوفي عام ١٨٩٣م أنظر الأعلام – ج ٢ ص٨ وراجع المستشرقون – ٢ ص٦٣١.

(5) جوسـتاف فايـل : مستشرق ألماني من آثاره مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن وتوفي في سنه ١٨٨٩ م أنظر آراء المستشرقين – ج ١ ص٢٢٩.

يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقاً ويثقل جسمه، وتعتـريه التشنجات وتخرج منه الرغوة فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه وتلا على بعض أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله" (١).

الرد على تلك الشبهة:

في الحقيقة أن الناظر إلى تلك الافتراءات السابقة التي سردها لنا المستشرقون ورددوها بين الناس للطعن في الوحي، يجد أنها شبه واهـية وأراء سـقيمة لا يقـبلها العقل ولا يصدقها الواقع، ذلك لأن الـتاريخ قـد أخبرنا على مر العصور بأن الرسول ﷺ لم يتصف قبل البعـثة ولا بعدها بأي نوع من الأمراض النفسية أو العصبية كالجنون والهوس والصرع وغيرها، بل إنه كان يتصف دائماً بالعاقل، والصادق الأمـين، والرسول ﷺ لم يكن شاعراً يعتريه شيطان الشعر فيؤثر في أقـواله وتـصرفاته، ولـم يكن من أصحاب السلوك الشاذ والتصرفات الغـريبة، ويكفي أن معاصريه من المشركين الذين لم يقبلوا دعوته لم يـصفوه بالـصرع والوسوسـة بالرغم من أنهم قالوا عنه أنه شاعر وسـاحر وكاهن، فلو لاحظوا عليه شيئاً من تلك الأمراض لكانوا أول من قذفوه بها دون تحرج.

ولقـد وصـف لنا النبي ﷺ ظاهرة الوحي المنزل عليه وصفاً دقـيقاً حـيث " شـبهه أحياناً مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه فينفصم عنه وقد وعى ما قال، وأحياناً يتمثل له الملك في صورة رجل فيكلمه فيعي ما يقول، وفي كلتا الصورتين كان النبي واعياً وعياً كاملاً

---

(١) أنظـر آراء المستـشرقين حـول القـرآن – ج ١ ص٣٩٨، وراجع الإسلام والمستشرقون – ت/ نخبه من العلماء– ص٢٠٢ ط عالم المعرفة سنه ١٩٨٥م.

بما يوحى إليه، وقد كرر ذلك مرات عديدة فأثبت لنفسه الوعي الكامل والإدراك السوي لحالته قبل الوحي وحالته بعد الوحي، وحالته في أثناء الوحي، وهذا التأكيد ينفي عن الرسول شبه الهلوسة والمرض النفسي والصرع الذي ينتاب من يصابون به، وعن طريق وعي الرسول الكامل بما يوحى إليه لم يخلط مرة واحدة بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية"[1].

ومن هنا فإنني أرى- من وجهة نظري - أن هؤلاء المستشرقين متعصبون ومتحاملون على الإسلام أكثر من كونهم موضعيين ومتعقلين طبقاً لقواعد النقد العلمي السليم الذي يقتضي الحيادية والموضوعية وعدم التعصب لرأي من الآراء قبل التأكد من صحته لقد خالفوا كل ذلك وأصبحوا كالببغاوات يرددون شبه واهية، وأفكار عقيمة قد عفا عنها الدهر منذ آلاف السنين، فلا شك إذن في أن هؤلاء قد انحرفوا عن الحق فمثلهم كمثل من ضل الطريق فلا يهتدون أبداً وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [2].

ويكفينا للرد على هؤلاء أن كثير من إخوانهم المستشرقين المنصفين أمثال "ماكس مايرهوف" ، "ودوغويه"، و"مونتجمري وات"، ورددنسون، وروم لاندو وغيرهم، قد قاموا بالرد على تلك المغالطات وعملوا على نقضها من أساسها لعدم استنادها إلى دليل علمي قاطع.

---

(١) مباحث في علوم القرآن - د / صبحي الصالح - ص٢٨ - ط ١٦ دار العلم للملايين.

(٢) سورة الفرقان آية : (٩).

فنجد المستشرق المنصف "ماكس مايرهوف" [١] ينفي عن الرسول ﷺ فرية اتهامه بالصرع ويبطلها فيقول: «أراد بعضهم – يعني بعض المستشرقين المتعصبين – أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول ويبطله»[٢].

كذلك أيضاً رفض المستشرق "دوغويه" القول بأن الرسول ﷺ كـان مـصاباً بداء الصرع فقام ينفي ذلك الاتهام ويرفضه فقال: «إن الحافظـة في المصروعين تكون معطلة على حين أن حافظة محمد ﷺ كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي»[٣].

وأمـا "مونتجمـري وات" و"رودنسون" فقد أبطلا تلك الفرية ورفـضا جمـيع الآراء الغربية التي تنسب ظاهرة الوحي إلى الصرع والجـنون وبيـنا بمـا لا يدع مجالاً للشك فيه أن الحالة التي تعتري

---

(١) مـاكس مايرهوف: هو مستشرق ألماني من كبار أطباء العيون العالميين، سكن مـصر وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصري والجمعية الطبية المصرية وتوفي بمصر سنه ١٩٤٥م
أنظـر الأعـلام – ج ٥ – ص٢٥٦ : ٢٥٧، وراجع ترجمته في المستشرقون الألمـان تـراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية – جمع صلاح الدين المـنجد – ص ١٤١: ١٤٥ ط الثانـية سنة ١٩٨٢م – دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان.

(٢) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب – د/ أحمد بن حجر البوطي – ص١٦٢.

(٣) الغـزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – د/ على عبد الحليم محمود – ص ٤٥ – جامعة الإمام بالسعودية.

الرسـول ﷺ في أثناء تلقيه الوحي تختلف عن حالة المصابين بمرض الصرع وآية ذلك «أن من يصاب حقيقة بالصرع لا يذكر إطلاقاً ما مر به إبانها بل أنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تامــاً ولا يذكر شيئاً مما صنع أوحل به خلالها، ذلك لأن حركة الشعور والتفكيــر تتعطل فيه تمام التعطل وهذه الأعراض التي تصيب المرضى مــن الــصرع لا تنطبق على ما كان يعتري الرسول من حالات نفسية وفسيولوجية في أثناء نزول الوحي عليه، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يــتلقاه ويــتلوه بعــد ذلك على أصحابه، كما أن نزول الوحي لم يكن مقتــرناً دوماً بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه، بل إنه كثيراً ما ينزل الوحي والنبي في تمام يقظته العادية» [١].

وهكذا يتضح لنا من خلال النص السابق مدى خطأ هذه الفرية وعدم استنادها إلى رأي علمي صحيح، فقد ثبت علمياً أن الحالة التي كانت تعتري الرسول ﷺ أثناء نزول الوحي عليه تختلف كلياً وجزئياً عن الحالة التي تعتري المصابين بمرض الصرع ذلك لأن الصرع "مرض مصحوب باصفرار الوجه وبرودة في الأطراف واصطكاك في الأسنان ويتعطل تفكير المصروع وإدراكه تماماً ويدخل في غيبوبة كاملة، فلا يدري أثناء نوبته ما يدور حوله وتعتريه تشنجات وينسى ما حدث له خلال ذلك نسياناً تاماً، وهذا بخلاف أمره ﷺ فلا يظهر عليه شيء مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه وكامل قوته العقلية قبل وأثناء وبعد الوحي" [٢].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام – جولدزيهر – ص١٦ ط الأولى سنة ١٩٤٦ م – دار الكتب الحديثة بمصر.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن – ج١ ص ٤٠١.

وأما المستشرق "روم لاندو" فقد رفض أيضاً ما زعمه بعض المستشرقين من إصابة النبي ﷺ بمرض الصرع حيث قال: «إن الزعم القائل بأن فترات تلقيه ﷺ الوحي كانت في الواقع نوبات صرع خاطئ على نحو جلي لأن من يتعرض لمثل هذه النوبات لا يمكن أن يكون مالكاً وعيه ومنطقه إلى حد القدرة على النطق بمثل المقاطع العميقة من وجهه النظر الفكرية التي نقع على كثير منها في القرآن»(١).

وهكذا يتضح لنا بطلان الزعم القائل بأن النبي صلوات ربي وسلامه عليه كان مصاباً بداء الصرع من خلال ألسنة بعض المستشرقين المنصفين، وبذلك يكون هؤلاء المنصفون بمثابة شهود العيان على جهل إخوانهم المتعصبين ، إن هؤلاء المتعصبون يحاولون التشكيك في الإسلام والطعن في نبيه بشتى السبل، ولكن أنى لهم ذلك فهم جهلاء يقولون مالا يعلمون، ولا يستندون في أقوالهم إلى دليل علمي سليم، ومن ثم أضحت مزاعمهم أضحوكة للولدان يعرف فسادها كل من وقف عليها، إلا من ختم الله على عقله وبصيرته، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢).

هــذا وقــد تصدى للرد على تلك الفرية المزعومة التي قالها هؤلاء المستشرقون المتعصبون بعض الباحثين المسلمين المعاصرين، فعملوا على دحض هذه الافتراءات والمغالطات الكاذبة بالحجج العقلية والبراهين المنطقية التي لا تدع مجالاً للتشكيك في حقيقة الوحي.

---

(١) الإسلام والعرب – روم لاندو – ترجمة منير البعلبكي ص٣٣ – ط بيروت.

(٢) سورة الحج آية : (٤٦)

فنجد الدكتور "محمد حسين هيكل" ينفي عن الرسول ﷺ تهمة إصابته بداء الصرع، ويوضح لنا الفرق بين مرض الصرع وحالة الوحي التي كانت تعتري الرسول ﷺ فيقول: «إن الصرع يعطل الإدراك الإنساني، وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس، أما الوحي فهو سمو روحي اختص الله به أنبياءه ليلقى إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس، وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها وأسرارها بعد أجيال وقرون، وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم، ومع ذلك فتبقى حقائق يقينية يهتدي بها المؤمنون الصادقون" (١).

وأما د/ التهامي نقرة فقد ذكر أن «وصف ظاهرة الوحي الإلهي، وما كان يعتري النبي عند تلقيه من حالة خاصة ناشئة عن انسلاخه من البشرية الجسمانية واتصاله بالملائكية الروحانية بالهوس أو الصرع أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية على ضوء التحليل النفسي جهل خطير بحقيقة النبوة، وهل يكفي لصنف من العلوم أن يصل إلى حد من الدقة والتطور بحيث تفرض طريقته في البحث على الميادين الأخرى وينتصب معياراً» (٢).

وهكذا يقرر د/ التهامي نقرة من خلال ما سبق أن وصف ظاهرة الوحي الإلهي، وما كان يعتري النبي ﷺ أثناء تلقيه للوحي بالهوس والصرع، خطأ فاحش ناشئ من التصور الخاطئ، والفهم السقيم لحقيقة الوحي، كما أنه ناشئ عن الجهل التام بحقيقة العلاقة التي تربط بين جبريل عليه السلام ملك الوحي، وسيدنا محمد ﷺ هذا

---

(١) حياة محمد – د/ محمد حسين هيكل – ص٤١ – ط الخامسة سنه ١٩٥٢.

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية – ج١ – ص ٢٨: ٢٩.

فضلاً عن أنه يقرر أن ظاهرة الوحي لا تخضع للعلوم التجريبية والتحليلات النفسية أو الاستنتاجات العقلية، ذلك لأن جميع البشر على اختلاف تخصصاتهم العلمية عاجزين عن إدراك كنهها وحقيقتها، ومهما بلغ أي علم من العلوم التجريبية غاية الدقة والتقدم والتطور فلن يستطيع الوصول إلى فهم وإدراك حقيقة الوحي وكنهه.

وأيضا نجد الأستاذ /عبد الكريم الخطيب ينفي عن الرسول ﷺ تهمة إصابته بالجنون أو الصرع أثناء تلقيه للوحي، ويدافع عنه دفاعاً مريراً ويرى أنه لا يعقل أن يكون هناك شخصاً مصروع أو مجنون يستطيع أن ينشر دعوة كالإسلام تظل منتشرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أضف إلى ذلك أن الرسول صلوات ربي وسلامه عليه لقي أثناء نشره لدعوته الكثير من الظلم والتعنت من المشركين الطغاة الذين رفضوا دعوته وقاموا بمحاربتها بشتى الطرق، لكن الرسول ﷺ تصدى لهم وتحمل أذاهم ومكرهم، ووقف أمامهم شامخاً كالصخر لا يبالي بتهديداتهم، فلو كان مجنوناً أو مصروعاً كما يزعم هؤلاء الأفاقين لما استطاع إقامة دولة إسلامية متكاملة تمتد أطرافها وتتسع جيلاً بعد جيل على مر العصور.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ "الخطيب" ما نصه: «أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً ويعيش في أجيال الناس منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟ أمجنون مصروع يثبت لهذه العواصف العاتية المزمجرة وحيداً في وجه أمة صحراوية

النفوس صخرية الطباع ثم لا يكون منه في حال من الأحوال تخاذل أو ضعف حتى يحول هذه العواصف إلى أنسام عليلة وريح رخاء» [1].

هـــذا ويقـــرر د/حسن العتر نفس ما قرره أتباعه من الباحثين المعاصــرين، فينفي عن الرسول ﷺ تهمة إصابته بالجنون أو الصرع ويدافع عنه قائلاً: « لو نظرت في الشريعة الإسلامية وما فيها من حكم ومـــواعظ وأحكـــام تـــشريعية ســـامية وأخـــلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تـــساؤلات..هـــل يـــصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون وإخلال المـــشاعر؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة؟ والفساد مصدر الخير؟ ثم انظـــر فـــي ســـيرة سيد الخلق محمد ﷺ هل تراه كان مبتلى بالغفلة والـــبلاهة فيتراءى له ما يتراءى ؟! تراه بنى مجتمعاً قوياً على دعائم وطـــيدة، وقـــاد معارك النصر والظفر، وأسس دولة على أسس منيعة منحـــتها قـــوة للاتـــساع بعده من جبال الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً» [2].

وفـــي النهاية، نقول لهؤلاء المستشرقين إنكم لم تدركوا حقيقة الوحـــي تمـــام الإدراك، كما أنكم لم تستخدموا منهج النقد العلمي في موضـــعه، لقد كان كل همكم هو التشكيك في الإسلام والطعن في نبيه، ولكـــن أنّـــى لكم ذلك فقد ظل الإسلام وسيظل راسخاً منتشراً في شتى أنحاء العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما الرسول ﷺ فقد عـــاش طوال حياته في صحة نفسية وعقلية دائمة، فلم يطرأ عليه أي خلـــل أو مرض في عقله قبل البعثة ولا بعدها بل كان عاقلاً ذكياً فطناً

---

(١) النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء – عبد الكريم الخطيب ص ١٣٩ – ط الثانية سنة ١٩٧٥ – دار المعرفة للطباعة بيروت لبنان.

(٢) نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم – ص٢٢٧.

حسن الخلق حلو الشمائل، فهل يعقل لمن اتصف بهذه الصفات الحميدة أن يكـون مـصاباً بداء يحدث الرعب في قلب كل من يراه ؟! كلا، لا يدعى ذلك إلا من كان جاهلاً بحقيقة الدين أو مختل العقل.

وأخيـراً نقـول لهؤلاء المستشرقين: إنه ثبتَ علمياً أن هناك بعـض الحركات والتصرفات تأتي بها بعض الحشرات كالنحل والنمل، وبالطـبع لا يمكن تفسير هذه التصرفات بالغريزة وحدها، وإنما يمكن إرجاعهـا إلـى إرادة عليا توحي إليها بذلك السلوك المنظم، فإذا كان الأمـر كـذلك فإننا لا نستطيع إنكار الوحي الإلهي على البشر وإقراره بالنسبة للحشرات والمخلوقات الأخرى.

٣- الشبهة الثالثة :

يـرى بعـض المستشرقين أن الوحي الإلهي ظاهرة للإصلاح الاجتماعـي، ذلـك لأن النبي ﷺ ولد بمكة وعاش بها فكان على علم ودرايـة بحال المجتمع الذي يعيش فيه فقد كانت المادة هي التي تحكم ذلك المجتمع، فكان للأغنياء السيطرة على الفقراء، ومن هنا فقد ساد فـي المجتمع الظلم والأنانية وسوء المعاملة، وقد لمس محمد ﷺ ذلك بنفـسه لأنه كان يتيماً فأثرت تلك العوامل في نفسه فلجأ إلى الكهوف، والغيـران ليفكر في أمور دينية يعالج من خلالها ما يسود في مجتمعه من فساد اجتماعي، وهنالك تملكه شعور بأن الله يدعوه [١].

وقـد كـان المستـشرق الألماني "هوبرت جريمي" على رأس القائلين بأن الوحي ظاهرة للإصلاح الاجتماعي حيث ذكر أن محمداً لم يكـن فـي بادئ الأمر يبشر بدين جديد "وإنما كان يدعو إلى نوع من

---

(١) أنظر العقيدة والشريعة – ص٨:٧

الاشـــتراكية فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن قــرب، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إلى إزالة الفــروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين، لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته"[1].

كذلك أيضاً نجد المستشرق الإنجليزي "مونتجمري وات" بالرغم من تأكيده على صدق نبوة محمد ﷺ وإخلاصه في كل ما أخبر به من مجــيء الوحــي إلــيه، وبالرغم من رفضه لجميع آراء المستشرقين الغــرب التــي نــسبت ظاهرة الوحي إلى الصرع والهوس أو الجنون ودفاعــه عن الرسول ﷺ دفاعاً شديداً، بالرغم من كل ذلك إلا أننا نجد ذلــك المستــشرق لا ينكر حقيقة للوحي – كما ذكرنا سابقاً – بيد أنه يفــسره علــى أنه ظاهرة للإصلاح الاجتماعي فيقول: «لابد أن محمداً كــان واعياً منذ وقت مبكر من عمره بمشاكل مكة الاجتماعية الدينية، وكونه يتيماً جعله بلا شك أكثر إدراكاً للعلة الموجودة في المجتمع، أما نظريته الدينية فالمحتمل أنها كانت نوعاً من التوحيد الغامض الموجود بين أكثر المكيين استشارة، ولكن لابد أنه كان بالإضافة إلى ذلك يبحث عــن نوع من الإصلاح في مكة وكل الأشياء في بيئته ستجتمع لتقترح أن هذا الإصلاح لابد أن يكون دينياً» [2].

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية – ج ص٢٧ : ٢٨.

(٢) المصدر السابق – ص٢٢٠ : ٢٢١.

وهكـــذا يدعي هؤلاء المستشرقين أن الوحي ما هو إلا ظاهرة للإصلاح الاجتماعي وللرد عليهم نقول:

الرد على تلك الشبهة.

للأسف الشديد لقد أثبت هؤلاء المستشرقون جهلهم وعجزهم عن فهم حقيقة الوحي وكنهها فهماً حقيقياً، فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه لم يكن مصلحاً اجتماعياً كما يزعمون ولكنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل ليخرج الناس من ظلمات الجهل والطغيان إلى نور الإيمان، بيد أن هؤلاء المستشرقين أرادوا أن يصفوه بوصف المصلح الاجتماعي لكي يخلعوا عنه صفة النبوة التي وهبها له الله عز وجل، ويجعلوه مجرد مصلح شأنه شأن غيره من المصلحين الاجتماعيين الذين ظهروا على مر العصور وقدموا خدمات جليلة لمجتمعاتهم ثم طوى التاريخ صفحاتهم بمجرد رحيلهم بمرور الزمن، وهذا جهل واضح بحقيقة النبوة والوحي الإلهي.

ومـــن هـــذا المـــنطلق فإننا نرد على ما ذهب إليه المستشرق الألمانـــي "هوبرت جريم" من أن النبي ﷺ لم يكن في بداية أمره يبشر بـــدين جديـــد، ولكنه تأثر بما يعانيه مجتمعه من فوارق طبقية فنشر دعوته الإصلاحية، فنقول: « إن هذا تفسير مادي مبتسر ومتعسف أراد بـــه صـــاحبه تطبيق النظريات الماركسية والمادية الحديثة على نشأة الديانة الإسلامية، فالمجتمع العربي إن كان يشوبه التمييز الطبقي بين الأغنياء والفقراء وبين الأحرار والعبيد، إلا أن المعايير المادية الحديثة التـــي أفرزتها تطورات الثورة الصناعية الأوربية، وما نشأ من صراع الطبقات الذي تطور عبر العصور والأجيال، لا يمكن أن يقاس بما كان علـــيه المجتمع العربي البسيط في ذلك الزمان، ثم إن الإسلام لم يأتي

فقط للإصلاح الاجتماعي ولكنه جاء نظاماً متكاملاً شاملاً لمناحي الحياة كلهـا ديـناً ودولة، فهو لم يقتصر على إلغاء الطبقات، وتحرير العبيد وإعادة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، ولكنه نظم العقيدة، فدعا إلى التوحـيد، وأصـر على إزالة عبادة الأصنام، وإعادة الوحدة بين أبناء العـروبة، ودفع بهم خارج جزيرتهم لنشر تعاليمه التي تنادي بالحرية والإخـاء والمـساواة، وأنـشأ نظامـاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً متكاملاً»[١].

وهكـذا يتضح لنا من خلال ما سبق أنه لا يصح تفسير ظاهرة الوحي تفسيراً مادياً لأن ذلك منافي لطبيعة الدين الإسلامي، هذا فضلاً عـن أن هذا التفسير لا يلاقي قبولاً علمياً، ومن هنا فلا يمكن الاستناد إلى ذلك التفسير في نفي نبوة سيدنا محمد ﷺ لأن الرسول ﷺ لم يكن مصلحاً اجتماعياً فحسب وإنما هو رسول الإنسانية جمعاء وليس داعياً من دعاة الاشتراكية، تلك الفلسفة المادية الإلحادية الباطلة التي قضي عليها الإسلام واقتلع جذورها وبين فسادها وانحرافها.

وأمـا ما ذهب إليه "مونتجمري وات" من أن سيدنا محمد ﷺ مجـرد مصلح اجتماعي لأنة تأثر بمجتمعه فأراد إصلاحه، فالحقيقة أن شـأنه في ذلك شأن "معظم المستشرقين الذين يدرسون ظاهرة الوحي والنـبوة مـن خـلال الأحداث الإنسانية والأحوال البشرية وكثيراً ما يـستعينون بالدراسـات النفسية والتحليلات التاريخية في دراسة هذه الظاهـرة كمـا تـدرس بطـولات آدمية وعبقريات إنسانية، فإذا لهم

---

(١) الظاهـرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – ت. د/ ساسي سالم الحـاج – ج ص٣٦١ ط الأولى سنه ١٩٩١م الناشر مركز دراسات العالم الإسلامي.

يخلطون بين النبوة والعبقرية، ويلتبس عليهم معاني البطولة ومعاني الرسالة" (١).

إذن فتفسير الوحي الإلهي بأنه مجرد ظاهرة للإصلاح الاجتماعي، فيه حكم جائر على الإسلام ذلك لأن التاريخ أثبت أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان على مر العصور المختلفة، وليست مهمته قاصرة على تصحيح وضع الجاهلية في مكة، فقد جاء ﷺ بشريعة متكاملة فيها دعوة إلى التوحيد الخالص والحرية والإخاء والمساواة، وقد وضح لنا الرسول ﷺ من خلال تلك الشريعة الكثير من العبادات التي تربط الإنسان بربه، وبين لنا المعاملات التي تربط الإنسان بجميع أفراد المجتمع، كما رسم لنا الأخلاق الفاضلة التي يسمو من اتصف بها، وهكذا جاء الإسلام بكل ما يصلح للبشر ويضمن لهم السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

٤- الشبهة الرابعة:-

زعم بعض المستشرقين أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية، وكان المستشرق اليهودي "جولد زيهر" في مقدمة المستشرقين الذين فسروا الوحي بذلك التفسير الخاطئ حيث ذكر "أن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبت ضرب من الحياة في

---

(١) الرسول (ص) في كتابات المستشرقين – د / نذير حمدان – ص٢٩.

الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية. لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء وقوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إليها" [1].

ولم يكتف "جولدزيهر" بذلك الافتراء الكاذب وإنما زعم أن النبي ﷺ تتلمذ على يد رهبان النصارى وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له[2].

وذكر "زيهر" أن النبي ﷺ قد تم له الاتصال بهؤلاء - الرهبان والأحبار - عن طريق التقاليد والروايات المتوافرة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية [3].

وقد تابع "زيهر" في إدعاءه هذا المستشرق "بروكلمان" فذكر أن النبي ﷺ تتلمذ على يد رهبان النصارى وأحبار اليهود من خلال رحلاته [4].

وللرد على هذه الفرية الكاذبة نقول:

في الحقيقة أن ما ذكره هؤلاء المستشرقون مجرد ادعاءات وافتراءات كاذبة لا أساس لها من الصحة، ولا تستند إلى أي دليل علمي قاطع، ومما يؤكد بطلان تلك المزاعم والافتراءات ما يلي :

١- أن النبي ﷺ لو تلقى شيئاً عن أهل الكتاب - كما يدعى المستشرقون - لنقل ذلك أصحابه وأتباعه الذين لم يتركوا

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام - ص١٢.

(٢) العقيدة والشريعة - ص١٣: ١٤.

(٣) المصدر السابق- ص٢٨.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية - لبروكلمان - ص٣٤.

شيئاً علم عنه أو قيل فيه إلا ودونوه[1]. ولكنهم لم يفعلوا ذلك فعلم فساد ذلك الرأي وبطلانه.

٢- لو ثبت ما ذكر لاتخذه أعداؤه من كبار المشركين حجة لهم للنيل منه والطعن فيه، ذلك أنهم كانوا يزعمون أن النبي ﷺ تعلم من رومي حداد أعجمي ، فرد الله عليهم بقوله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[2] [3]. ولو ثبت ذلك بالفعل لكان اليهود والنصارى أعرف الناس به ولما سكتوا عنه لأنهم يتحينون أي فرصة للنيل من الإسلام والطعن في نبيه.

٣- أن نصوص القرآن الكريم صريحة في أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئاً من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى عقب قصة نوح عليه السلام ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]. وقوله عقب قصة يوسف عليه السلام ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[5]. وقوله عقب قصة موسى عليه السلام ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً

---

(١) الوحي المحمدي – ص٦٨.

(٢) الوحي المحمدي – ص٦٨.

(٣) سورة النحل آية : (١٠٣).

(٤) سورة هود آية : (٤٩).

(٥) سورة يوسف آية : (١٠٢).

فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين ﴾ [1].

هذا فضلاً عن أن النبي ﷺ لم يطلع على كتب أهل الكتاب بالفعل لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولو ثبت أنه اطلع على تلك الكتب لرفضها ونقدها لما فيها من انحراف عن الحق، وقد اعترف بذلك أحد المستشرقين المنصفين حيث قال: «لقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه عند خلقته»[2].

٤- يقال "لجولدزيهر" و"بروكلمان" أين هذه الرحلات التي تزعمون أن الرسول ﷺ التقى فيها برهبان النصارى وأحبار اليهود وأخذ عنهم وتتلمذ على أيديهم؟ ومتى كانت؟ ومن هم أساتذته الذين أخذ عنهم ؟ وماذا أخذ؟

لا شك أن المستشرقين يعجزون عن الإجابة على هذه الأسئلة، لأنه لا إجابة لها أصلاً وإنما هي مجرد خيالات من صنع أفكارهم.

والحقيقة أن النبي ﷺ لم تثبت له إلا رحلتان كلتاهما إلى الشام، إحداهما مع عمه أبي طالب في تجارة له وهو طفل، وقد أعاده عمه إلى مكة قبل إتمام رحلته

---

(١) سورة القصص الآيات : (٤٤ : ٤٥).

(٢) الإسلام والمستشرقون – ص٣١٥.

والثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره صحبه غلامها ميسرة ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى في المرتين، ولم يذهب يتعلم وإنما ذهب ليتاجر ومعه من يصحبه في الرحلتين، ولم يذكروا شيئاً من ذلك أبداً، ولماذا سكت ﷺ طيلة هذه الفترة من عمره حتى أظهر ذلك عندما بلغ الأربعين، مدة كافية لنسيان ما حصل عليه عرضاً [1].

٥- ومما يؤكد لنا أن الإسلام ليس مقتبساً من اليهودية ولا النصرانية – كما يزعمون– وجود خلاف في كثير من العقائد. والأحكام بين شريعة المسلمين وشرائع أهل الكتاب ومن أمثلة مخالفتهم قوله ﷺ «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» [2]. وأيضاً قوله ﷺ «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»[3].

فلاشك إذن في أن مخالفة الرسول ﷺ لشرائع اليهود والنصارى فيها دلالة قاطعة على بطلان قول المستشرقين أنه عليه الصلاة والسلام كيف شرائع الإسلام لكي تتفق مع شرائع أهل الكتاب، أضف إلى ذلك أن الدين الإسلامي ناسخ لجميع الأديان والشريعة المحمدية ناسخة لجميع الشرائع، وعلى ذلك

---

(١) الوحي المحمدي – ص٥٣ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل – ج ص ١٤٥.

(٣) سنن أبو داود/ كتاب سباب الصلاة في النعال – ج ١ ص ١٧٦ وراجع سنن البيهقي – ج٢ص٤٣٢.

فالدين الإسلامي هو الدين المهيمن على جميع الأديان وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [1].

والحقيقة أن هذه الشبهة ينبثق منها عدة إدعاءات هي كما يلي:

أ- الإدعاء الأول:

زعم بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ قد أخذ تعاليم الوحي من الراهب "بحيرى" حيث قالوا : « إن محمداً لقي بحيري في مدينة بصرى بالشام، وقالوا إنه كان نسطورياً من أتباع "آريوس" [2] في التوحيد، وينكر إلوهية المسيح وعقيدة التثليث، وقالوا في بحيرى أيضاً إنه كان عالماً فلكيا منجماً وحاسباً وساحراً، فتعلم منه محمد عقيدته وذكر بعض الرهبان أنه كان معلماً لمحمد ﷺ ومصاحباً له بعد رسالته، وأن محمداً ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيري وهو سكران»[3].

وهكـــذا أســـرفوا في الافتراء والبهتان على الرسول ﷺ لكي يشوهوا صورة الإسلام ويقضوا عليه.

---

(١) سورة المائدة آية : (٤٨).

(٢) آريوس : كان قسيساً بالإسكندرية، قال بأن الله واحد سماه أباً وأن المسيح كلمة الله وابـــنه عـــن طـــريق الاصطفاء وزعم أن الله روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وتبرأ من النصارى لمخالفته لهم في مذهب التثليث.

أنظر الملل والنحل – للشهر ستاني – ج ١ ص٢٢٧

(٣) الوحي المحمدي – ص٤٩.

الرد على ذلك الإدعاء :

لا يخفـــى علينا أن ما ذهب إليه المستشرقون من الإدعاء بأن الرســـول ﷺ قد لقي الراهب بحيري وأخذ عنه وتعلم منه إدعاء كاذب ولا دلـــيل على صحته، ذلك لأن لقاء الرسول ﷺ بالراهب بحيري كان لقاءً سريعاً في فترة وجيزة وهذه الفترة التي قضاها معه لا تكفي لأن يعلمـــه علماً ينشره على مدى ثلاثة وعشرين سنة، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ كان عمره حوالي تسع سنين أو اثنتي عشرة سنة حين لقي الراهب بحيري، وهذه السن لا تؤهله لاستيعاب الكثير من المسائل لأنه لا يـــزال في ريعان الطفولة، وعلى فرض أنه علمه شيئاً فهل يعقل أن يظـــل مـــا تعلمـــه في ذهنه وذاكرته إلى أن يقوم بنشره وهو في سن الأربعين؟! أليس ذلك ضرباً من الخيال؟!

هـــذا وقد تصدى للرد على تلك الفرية المزعومة فضيلة الشيخ "محمـــد عبد العظيم الزرقاني" حيث أورد في كتابة "مناهل العرفان في علـــوم القرآن" عدة ردود أبطل بها دعوى المستشرقين المزعومة بأنه ﷺ لقي بحيري وتعلم منه علمه، ومن بين هذه الردود ما يلي:

<u>أولاً:</u> أن هـــذه دعـــوى باطلـــة مجردة عن الدليل، خالية من الـــتحديد والتعيين ومثل هذه الدعاوى لا تقبل مادمت غير مدللة بدليل، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد ﷺ من بحيري الراهب؟ ومتى كان ذلك وأين كان؟

<u>ثانياً:</u> أن التاريخ لا يذكر أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين ولم يجاوز سوق بصرى فيهما، ولم يسمع من بحيري ولا من غيره شيئاً من الدين، وكان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو

طالب، وشاهد في المرة الثانية وهو ميسرة غلام السيدة خديجة رضي الله عنها، فلو تعلم ﷺ من بحيري شيئاً لما أخفاه عمه أو الغلام.

ثالثاً: أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم المرشد لمحمد ﷺ لأنه بشر عمه أبو طالب بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادي الهداة والمرشدين، وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه.

رابعاً: أن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الراهب بحيري تأبى أن تكون مصدراً للقرآن وهدايته، خصوصاً بعد أن أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف.

خامساً: وأخيراً يقال لهم لو كان الراهب بحيري وهو مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز لكان هو الأحرى بمقام النبوة والرسالة من غيره، أليس كذلك؟ (١)

٢- الإدعاء الثاني:

زعم بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ تلقى علمه من "ورقة بن نوفل" ابن عم السيدة خديجة – رضي الله عنها – وقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر وكان يترجم التوراة والإنجيل إلى العربية، فهو إذن عالم مسيحي كبير.

---

(١) أنظر مناهج العرفان في علوم القرآن – للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – ج ٢ – ص٤٢١ : ٤٢٣ بتصرف واختصار.

يقــول المستشرق "وات" : «من الأفضل الافتراض بأن محمداً كان عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة» [1].

الرد على هذا الإدعاء : -

يمكننا أن نبين بطلان مزاعم المستشرقين وتهافت أقوالهم من خلال ما يلي:

١- أن النبي ﷺ لم يلتق بورقة بن نوفل إلا بعد نزول الوحي عليه للمرة الأولى، وذلك عندما هبط عليه ملك الوحي وهو يتعبد في غار حراء، فرجع الرسول ﷺ إلى السيدة خديجة – رضي الله عنها – وهو يرتجف ويقول "زملوني" "زملوني" فانطلقت به السيدة خديجة حينذاك إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ليخبره بما حدث للرسول ﷺ في الغار لعلهما يجدا تفسيراً لذلك عنده، حيث كان على علم بالتوراة والإنجيل[2].

٢- لقد حضرت السيدة خديجة رضي الله عنها ذلك اللقاء الذي دار بين النبي ﷺ وابن عمها ورقة بن نوفل، وسمعت الحديث الذي دار بينهما، فلو كان النبي ﷺ تعلم من ورقة بالفعل وأخذ عنه لما آمنت به السيدة خديجة بمجرد ما أخبرها بأنه نبي مرسل، لكنها آمنت به لأول وهلة الأمر الذي يؤكد لنا صدق الرسول ﷺ في أنه موحى إليه من قبل الله عز وجل.

---

(١) أنظر مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية – ج ١ ص٣٧ : ٣٨.

(٢) أنظـــر الرواية بالتفصيل في صحيح البخاري – كتاب بدء الوحي – ج ١ ص ٣:٤ حـــديث الـــسيدة عائـــشة "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة...."

٣- لم يرد في السيرة النبوية ولم تذكر لنا الروايات المختلفة أن ورقة بن نوفل كان يلقى للنبي ﷺ دروساً في أي جزء من جزئيات الإسلام، كما أنه لم يثبت أنه ﷺ كان يتردد على ورقة ليتلقى منه الدروس [1].

٤- أن ورقة بن نوفل مات ولم يمكث زمناً طويلاً فكيف كان هو السبب في نبوه سيدنا محمد ﷺ ؟ وكيف تنبأ للنبي ﷺ بتلك الحوادث التي وقعت فيما بعد؟ قال تعالي ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [2].

٥- إن موقف ورقة من ذلك الأمر كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم، فلما أخبره النبي ﷺ خبر ما رأى كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن المتطوع لمناصرة الحق، المؤيد للنبي ﷺ فموقف هذا شأن صاحبه لا يمكن أن يكون هذا الصاحب مصدر علم الوحي الذي شرف به رسول الله ﷺ [3].

٦- لو كان ورقة بن نوفل هو الذي علم محمد ﷺ تعاليم الوحي فلماذا انتظر إلى أن بلغ النبي ﷺ سن الأربعين ولم يبلغه قبل ذلك وهو في ريعان الشباب؟!

---

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن – ص٢١٨.

(٢) سورة النمل آية : (٦٥).

(٣) نبوه محمد ﷺ – ٢١٨.

٧- وأخيراً لو كان ورقة هو الذي علم سيدنا محمد ﷺ تعاليم الوحي والنبوة لكان هو الأولى بالنبوة منه ﷺ فلماذا علمها لمحمد ولم يختص بها لنفسه ؟! أليس ذلك شيء عجيب ؟!

٣- الإدعاء الثالث:

زعم بعض المستشرقين أن النبي ﷺ تلقى تعاليم الوحي من الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة، ذلك أن هناك طائفة من الحاشية اليهودية والمسيحية قد أسلمت أو تظاهرت بالإسلام فنجد "عبد الله بن سلام اليهودي" ، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي الذين كانوا من أصل مسيحي، وفي ذلك دلالة قاطعة على أن بيئة النبي ﷺ كانت كتابية من كل نواحيها وأن ثقافته ﷺ كانت كتابية في كل مظاهرها [1].

الرد على هذا الإدعاء: ـ

لا شك أن هذا إدعاء كاذب لا أساس له من الصحة ذلك لأن أغلب الشخصيات التي استشهد بها المستشرقين على أنه ﷺ أخذ منها وتأثر بها، لم يلتق بهم ﷺ إلا بعد الهجرة، وقد التقى بهم ﷺ تابعين له لا متبوعين، ومتعلمين منه لا معلمين ومؤمنين به ومصدقين لا مكذبين[2].

وقد أكد على هذا المعنى د/ التهامي نقرة حيث ذكر: «أن ما يدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا في صحبته هو محض افتراض، لأن إسلامهم

---

(١) أنظر مناهج المستشرقين –ج ١ ص١٥٠ بتصرف واختصار.

(٢) نبوة محمد ﷺ – ص٢٢١.

حجة قائمة على صدق ما جاء به من الوحي الإلهي، ولو تبين لهم أنه كـــان يـــتلمذ لهم في خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعو إليه لانفضوا من حوله ولعادوا إلى دينهم، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الدعوى إلى الإسلام والذود عنه والإخلاص للرسول»[1].

وجملـــة القـــول في نهاية الحديث عن موقف المستشرقين من الوحي الإلهي: أن الوحي الإلهي حقيقة مسلمة لا شك فيها، وهو ينزل علـــى الرســـول ﷺ بواسطة ملك الوحي سيدنا "جبريل" عليه السلام، وهـــذا الوحي خارج عن الذات المحمدية، وليس أثراً من آثار المرض أو الهلوسة أو الجنون، كما أنه ليس مقتبساً من اليهودية والنصرانية، ولم يتلقاه ﷺ أو يتعلمه من أحد الشخصيات النصرانية أو اليهودية أو مـــن أهل الكتاب المسلمين الذين عاشرهم وتأثر بهم، ومن هنا تنهار جميع شبهات المستشرقين ويظهر لنا تهافتها وبطلانها وفسادها لأنها لا تـــنطوي على شيء من الصحة، ويكفينا أن نؤمن بأن الوحي هو ما يكلـــف الله به أنبياءه من آياته وكتبه لتبليغها إلى عباده مهما اختلفت صوره وتعددت تصديقاً للآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

---

(1) مناهج المستشرقين – ج ١ – ص٣٥.

(2) سورة الشورى آيه : (٥١).

ثانياً: موقف المستشرقين من النبوة :

بادئ ذي بدء قبل أن نفصل القول في الحديث عن موقف المستشرقين من النبوة نود أن نشير في عجالة سريعة إلى مفهوم النبوة والرسالة في اللغة والاصطلاح، فنقول وبالله التوفيق:

أ ـ مفهوم النبوة في اللغة :

يقول "عضد الدين الإيجي" في معنى "النبي" : «هو لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي فيقل : هو المنبئ من النبأ لإنبائه عن الله تعالى، وقيل: من النبوة وهو الارتفاع لعلو شأنه، وقيل: من النبي وهو الطريق لأنه وسيلة إلى الله تعالى»[1].

إذن يفهم من كلام صاحب المواقف السابق أن النبوة في اللغة لها اشتقاقات ثلاثة هي:

١- إما أن تكون مأخوذة من النبأ فتكون بمعنى الإخبار كما ورد في لسان العرب : "النبأ الخبر والجمع أنباء وإن لفلان نبأ: أي خبراً ثم نقل عن الجوهري أن: النبي: المخبر عن الله"[2].

ورد في "مختار الصحاح" للرازي أن النبي بالهمز ويخفف يقول أبو عبيد "وهو مهموز وغير مهموز فالمهموز

---

(١) المواقف في علم الكلام – عضد الدين الإيجي – الموقف السادس في السمعيات – المقصد الأول – ص٣٣٧ – مكتبة المتنبي بالقاهرة.

(٢) لسان العرب – لابن منظور – ج١ ص ١٦٢ : ١٦٣ – ط دار صادر بيروت.

من النبأ بمعنى أن النبي يتلقى نبأ عن الله وغير المهموز من نبأ الشيء إذا نبا عدو تجافي في عنه"[1].

٢- وإما أن تكون النبوة مأخوذة من النباوة أو النبوة وكلاهما بمعنى الارتفاع فتكون النبوة بمعنى العلو والارتفاع، يقول صاحب لسان العرب: "وقيل النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع"[2].

٣- وإما أن تكون النبوة مشتقة من النبي، وهو بمعنى الطريق فتكون النبوة بمعنى الطريق الموصل إلى الله عز وجل كما ورد في لسان العرب "النبي الطريق الواضح"[3].

والحقـيقة أن النبوة تشتمل على هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم وهي الطريق الموصل إلى معرفة الله تعالى، بيد أننا إذا أردنا أن نرجح معنــى من هذه المعاني ليكون الأولى بلفظ النبوة والنبي، فإننا نرجح اشــتقاقها من النبأ لأن النبي منبأ من الله، وهو كذلك ينبئ الناس عن الله تعالــى ومــن ثم تثبت له أوصاف العلو والرفعة وكونه طريقاً إلى معرفة الله تعالى.

---

(١) مخــتار الصحاح – للرازي – ت/ محمود خاطر – ص٦٤٤ المطبعة الأميرية بالقاهرة.

(٢) لسان العرب – ج١ ص ١٦٣.

(٣) المصدر السابق – ١٦٤.

ب ـ مفهوم النبوة اصطلاحاً:

النبوة في الاصطلاح هي "اختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالـــى بحكـــم شـــرعي تكليفـــي سواء أمر بتبليغه أم لا"[١]. وعرفها التفتازاني في شرح المقاصد بأنها "كون الإنسان مبعوثاً من الحق إلى الخلق» [٢].

ومـــن خـــلال تعريفنا للنبوة في اللغة والاصطلاح نستطيع أن نعرف النبي بأنه "إنسان حر من بني آدم أوحي إليه سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر به" [٣].

وعرفه الشريف الجرجاني فقال: «وأما مسماه –يقصد النبي– في العرف فهو عند أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين من قـــال له الله تعالى – ممن اصطفاهم من عبادة أرسلتك إلى قوم كذا أو إلى الناس جميعاً أو بلغهم عني ونحوه من الألفاظ المفيدة لهذا المعنى كبعثتك ونبئهم"[٤]

جـ ـ مفهوم الرسالة في اللغة :

---

(١) شرح البيجوري على الجوهرة – ت/ إبراهيم البيجوري – ص١٥٠.

(٢) شـــرح المقاصـــد – للتفتازانـــي – ت/د/ عبد الرحمن عميرة – ج٥ ص٥ – المقصد السادس – ط الأولى ١٩٨٩م – عالم الكتب.

(٣) مختصر شرح الخريدة – للإمام أبي البركات الدرديري – ت/ أحمد حجازي السقا – ص٢٤.

(٤) شـــرح المواقـــف – للإيجي – ت/ السيد الشريف الجرجاني ج١: ص٢١٧ – الموقف السادس – ط الأولى مطبعة السعادة.

الرسالة لغة الإتباع يقال جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة[1]. وأما الرسول لغة: فهو "مأخوذ من الفصل المتعدي أرسل يرسل مرسل بالكسر اسم فاعل ومرسل بالفتح اسم مفعول"[2].

وجاء في لسان العرب أن الرسول "هو الذي يتابع أخبار الذي بعـثه"[3] وذكـرت د/آمنة نصير: أن الرسول مأخوذ من الإرسال وهو يطلق على الوساطة بين المرسل والمرسل إليه[4].

د ـ مفهوم الرسالة اصطلاحاً :

يقول صاحب الجوهرة: الرسالة "هي اختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي وأمره بتبليغه"[5].

وعلـــى ذلـــك فالرسول اصطلاحاً: "هو إنسان حر من نبي آدم أوحي الله إليه بشرع وأمره بتبليغه "[6].

وجملة القول: أن النبوة والرسالة هي إرسال الله تعالى الرسل والأنبياء إلى المكلفين من الثقلين ليبلغوهم عن الله تعالى شرائعه التي يؤدي إلى صلاح حالهم في الدنيا والآخر.

---

(١) لسان العرب – ج١١ح مادة رسل – ص٢٨٤.

(٢) نظرات في العقيدة الإسلامية – د/ محمد الأنور حامد عيسى – ص ١٥٩.

(٣) لسان العرب – ج١١ ص٢٨٤.

(٤) دراسات علمية في المسائل العقدية – د/ آمنة نصير – ص٨٦.

(٥) شرح البيجوري على الجوهرة – ص١٥١.

(٦) مختصر شرح الخريدة – ص ٢٤.

وعلـــى أية حال فإن: "البحث في النبوة والرسالة دائم ومتصل ســواء محاولــة فهم النبوة ذاتها، وإدراك معانيها، وإثباتها أو تناول أمور أخرى تتصل بالرسل والرسالة وختم لنبوة" [1].

شبهات المستشرقين حول النبوة:

بعد أن عرضنا في الصفحات السابقة شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي، نجدهم الآن يحاولون أن يدعموا تلك الشبهات بالطعن في شخص النبي ﷺ ذاته لكي يجردوه من مقام العصمة الملازمة لمنزلة النبوة، فوصفوه بأوصاف ذميمة تنافي الفضيلة والأخلاق التي أشتهر بها الرسول ﷺ ، ولم يكتفوا بذلك وإنما عمدوا إلى نفي البشارات وإنكار الإرهاصات والمعجزات التي تؤكد نبوته ﷺ، كما عمدوا إلى مهاجمة السنة النبوية والطعن في الصحابة والتابعين لكي يصلوا في النهاية إلى إنكار النبوة.

وسوف نقوم الآن بعرض نماذج من شبهات المستشرقين التي أثاروها للطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ ، ثم نقوم بالرد عليها:

أولاً: شبهات المستشرقين التـي أثاروها للطعن في شخص النبـي ﷺ ذاته:-

أ ـ شبهة ميله ﷺ إلى النساء وانشغاله بهن: ـ

زعم المستشرق "كارل بروكلمان" أن النبي ﷺ كان ميالاً إلى النساء، منشغلاً بهن، حتى تطرق المرض والضعف إلى نشاطه بسبب الحياة الزوجية الواسعة التي عاشها[1].

---

(١) النــبوة والأنبــياء في الفكر الإسلامي – د/ علي عبد الفتاح المغربي – مقدمة الكتاب ص (ب) – مكتبة الحرية بالقاهرة سنة ١٩٩٠.

وقد أكد على ذلك المستشرق "فيليب حتى" حيث ذكر أنه ﷺ تزوج اثنتي عشر امرأة منهن من تزوجها بدافع الحب ومنهن من كان زواجه منها لغرض سياسي أو اجتماعي[٢].

هـذا و قد دعم المستشرقون مزاعمهم بما روي عن الرسول ﷺ أنـه قـال: «إنما حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٣]. فهذا الحديث - من وجهه نظرهم - لا يتفق مع مقام النبوة.

الـرد علـى ذلـك الاتـهام:

لا يخفى علينا أن ما ذكره المستشرقون في حق النبي ﷺ كذب محـض وافتـراءات واهية لا أساس لها من الصحة ولا سند لها من الـتاريخ، والواقع نفسه يكذب ذلك، فالرسول ﷺ كان معروفاً بأخلاقه الفاضـلة، وخـصاله الكـريمة، وهـو منـزه عن الشهوات والعيوب والـنقائص، ولـذلك فإن زواجه بنساءه لم يكن بدافع الهوى والشهوة كمـا يـزعم هؤلاء المفترين، وإنما كان زواجه منهن لحكم ومصالح اقتـضتها دعـوة الإسـلام، من إيجاد روابط أسرية، وتأليف للقلوب، وكفالة يتامى، وإحسان إلى الأرامل وغير ذلك.

وفـي ذلـك المعنى يقول الشيخ "محمد رشيد رضا" ما نصه: «وجملة القول أنه ﷺ راعي المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه علـيهن الرضـوان فـي التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة

---

(١) أنظر تاريخ الشعوب الإسلامية – ص ٦٧

(٢) أنظر تاريخ العرب – فيليب حتى – ص ١٦٦.

(٣) سـنن النـسائي – للنسائي – كتاب عشرة النساء – ج٣ ص ٥٨ وراجع مسند الإمام أحمد – ج٣ ص ١٢٨.

الأرامـل والأيـتام، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم، وعلم أتباعه احتـرام النـساء وإكرام كرائمهن، والعدل بينهن، وقرر الأحكام بذلك، وتـرك مـن بعده تسع أمهات للمؤمنين يطمن نساءهم من الأحكام ما يلـيق بهـن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع»[١].

ومما يـؤكد أن الرسـول ﷺ لم يتزوج نساءه بدافع الشهوة والغرام، أنه ﷺ تزوج السيدة خديجة رضي الله عنها وهو في عنفوان شـبابه حيث كان في الخامسة والعشرون وكانت هي في الأربعين من عمـرها ولم يزد عليها حتى توفاها الله، وقد بلغ الخميس من عمره، فلم يكن إلى هذا العمر رجلاً شهوانياً لاكتفائه بامرأة واحدة، فمن باب أولـى ألا يكـون كـذلك وقـد جاوز سن الشباب والفتوة والرغبة في النساء[٢].

أضف إلى ذلك أن زوجاته ﷺ لم يكن فيهن بكراً سوى السيدة عائـشة رضـي الله عنها، وقد خطبها وهي صغيرة في عمرها، وأما سواها من نساءه ﷺ فمنهن من كانت طاعنة في السن، ومن يصحبها أبناؤها، وأمثال هؤلاء تقل الرغبة فيهن ويضعف الاستمتاع بهن.[٣]

والحقيقة أنه قد خفي على هؤلاء المستشرقين أن تعدد النساء ليس مما يطعن به الأنبياء، ولا يعد قدحاً فيهم، فلو كان قادحاً في نبوة

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف – الشيخ محمد رشيد رضا – ص ٧٤ – ط الثانية – دار المنار.

(٢) أنظر حياة محمد – د/ محمد حسين هيكل – ص ٣٢٨ – ط ١٣ دار المعارف.

(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن – إبراهيم خليل أحمد – ص ٢١٩ – مكتبة الراعي العربي.

سيدنا محمد ﷺ لكان من باب أولى القدح في نبوة الأنبياء السابقين الذين عرفوا بتعدد النساء في كتب العهد القديم التي يؤمن بها أولئك المستشرقون فقد نصت تلك الكتب على "أن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة ثم هاجر في حياة الأولى – سارة – ويعقوب عليه السلام قد تزوج بأربع نسوة، وداود عليه السلام تزوج نساء كثيرة، وسليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة" (١).

أضف إلى ذلك أن تعدد الزوجات كان أمراً شائعاً بين العرب ومألوفاً بينهم، ومن هنا فإن تعدد الزوجات بالنسبة للرسول ﷺ لا يقدح في نبوته.

وأما بالنسبة للحديث الذي ورد عنه ﷺ «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » والذي استشهد به المستشرقون على أنه ﷺ كان مشغولاً بالنساء، فنرد على هذا الاتهام بأن الحديث قد روي عن الصحابي الجليل "أنس بن مالك" وهو معروف بين رواة الأحاديث بأنه عدل ثقة، وقد أخرجه الإمام النسائي في سننه، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده وهو حديث صحيح باتفاق معظم العلماء(٢).

كذلك أيضاً يقال لهم ليس في الحديث ما يدل على انشغاله ﷺ بالنساء، وإنما هو بشر كسائر البشر وقد أباح الله له الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة بقدر المستطاع من غير إسراف كما

---

(١) إظهار الحق – للشيخ رحمه الله المندي د/ أحمد حجازي السقا – ص ٦١٧ – ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) راجع الحديث بسنده في سنن النسائي ج٣ ص ٥٨ ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣ ص ١٢٨.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [1].

ومــن هنا فقد كان الرسول صلوات ربي وسلامه عليه وسطاً فــي كل شيء فلم يطلق لنفسه العنان فتنغمس في اللذات والشهوات، وأيضاً لم يكبح لجامها ويعيش راهباً كما يفعل رهبان النصارى، وإنما كان وسطاً بدون إفراط ولا تفريط.

ب ـ شبهة إتباعه ﷺ لهواه ومزاجه: ـ

زعم بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ كان يسير وفقاً لمزاجه وهــواه بــدون وحــي يرشــده ولا ديــن يعلمه وفي ذلك يقول أحد المستشرقين: «كان محمد حاكماً مطلقاً، وكان يعتقد أن من حق الملك علــى الــشعب أن يتبع هواه ويفعل ما يشاء، وكان مجبولاً على تلك الفكــرة، فقــد كــان عازمــاً على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه»[2].

الرد على تلك الفرية:-

نحن على يقين من أن أعداء الإسلام من المستشرقين يتحينون الفرص من أجل القضاء على الإسلام وتقويض دعائمه، ومن ثم فهم يحاولون الطعن في الرسولﷺ ورميه بكل فرية لكي يتوصلوا إلى نفي نبوته، ولكن أني لهم ذلك فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه لم يكن يوماً من الأيام متبعاً لهواه ومزاجه كما يدعي هؤلاء وحاشاه وكلاً أن يفعل ذلك وهو الذي امتدحه الله عز وجل وأقسم بأنه لا يتبع الهوى

---

(١) سورة المؤمنون الآية : (٥١).

(٢) الإسلام والمستشرقون – ص ٢٤٥.

ولا يقول ولا يفعل إلا ما يؤمر به قال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (١).

حقاً إن الرسول ﷺ لا يقول ولا يفعل ولا يأمر ولا ينهي إلا بما أمره به الله عز وجل، ولا يمكنه أن ينقص شيئاً أو يزيد عليه من تلقاء نفسه، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٢). ولو فعل الرسول ﷺ فعلاً ولم يأت على مراد الله عز وجل وأمره لعاتبه فيه، كعتابه له في قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾(٣). وقوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (٤) وأيضاً في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥). وفي ذلك أصدق دليل على أنه ﷺ لا يقول ولا يفعل إلا ما يرضى الله عز وجل ويأتي على مراده، وإن خالفه بدون قصد لعاتبه كما وضحنا من خلال الآيات.

والحقيقة أن دعاة المستشرقين من اليهود والنصارى هم الذين طمس الله على قلوبهم وأبصارهم فضلت عقولهم واتبعوا أهوائهم، وقد حذر الله عز وجل رسوله الكريم من سلوك مسلكهم وإتباع أهواءهم

---

(١) سورة النجم الآيات: (١: ٥).

(٢) سورة الحاقة الآيات : (٤٤: ٤٧).

(٣) سورة التوبة آية : (٤٣).

(٤) سورة عبس آية : (١).

(٥) سورة التحريم آية: (١).

فقال جل شأنه في محكم آياته ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [١]. وقال أيضاً ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [٢].

جـ ـ شبهة اهتمامه ﷺ بالغنائم وعيشه على السلب والتلصص: ـ

زعم المستشرقون أن النبي ﷺ كان في بدء حياته يدعو إلى الزهد في الدنيا والتهوين من شأنها، فلما بدأت الفتوحات وظهرت الغنائم تغير مبدأ الزهد في الدنيا إلى الطمع فيها، وأصبح أمر الغنائم هو شغله الشاغل الذي يقاتل الأعداء من أجل[٣].

يقول المستشرق اليهودي الإنجليزي "مرجليوث": «عاش محمد هذه السنين الست ما بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب، ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك سبب ما حقيقاً كان أم مصطنعاً يدعو إلى انتقامه منهم إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً لآن قتل أحدهم الرسول محمد لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام، وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمد ففي أيامه الأولى في المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين لكنه الآن – بعد السنة السادسة

---

(١) سورة المائدة آية: (٤٨).

(٢) سورة المائدة آية: (٤٩).

(٣) أنظر العقيدة والشريعة في الإسلام– ص ١٣٤: ١٣٥بتصرف.

للهجـرة – أصبح يخالف تماماً موقفه ذاك فقد أصبح مجرد القول بأن جماعة ما غير مسلمة يعتبر سبباً كافياً لشن الغارة عليها، وهذا يفسر لـنا تلـك الـشهوة التي أثرت على نفس محمد والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد، إن استيلاء محمد على خيبر يبين لنا إلى أي حد قد أصبح الإسلام خطراً على العالم»[1].

الرد علـى ذلـك :-

لا يخفى علينا أن هذا كلام هراء مملوء بالسخافات، ولا يدل إلا على نفوس مريضة تتعامى عن الحقائق الثابتة التي لا شك فيها، لكي تفـتعل الأساطير الكاذبة ثم تبني عليها أحكاماً خيالية مفتعلة لا أساس لهـا مـن الـصحة، فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه لم يكن أبداً حريـصاً على الدنيا، متهافتاً على مطامعها، وحاشاه أن تمتلكه شهوة شن الحروب والغارات من أجل الحصول على الغنائم.

لقد كان ﷺ حريصاً على تبليغ دعوته ونشرها بين الناس كما أمـره الله عز وجل، ولم يأت ليأخذ أموالهم بطريق التلصص والسلب والـنهب – كما يدعى هؤلاء المفترون–، قال تعالى ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [2].

وكيف يدعى هؤلاء الأفاكون أن الرسول ﷺ كان حريصاً على تحـصيل مطامع الدنيا الدنيئة ومغانمها الفانية وهو الذي عرض عليه

---

(١) محمـد وقـيام الساعة – لمـرجليوث – ص٢٦٢ ، نقـلاً عن أضواء على الإستشراق – د / محمد عبد الفتاح عليان – ص٨٧ ط دار البحوث العلمية.

(٢) سورة سبأ آية : (٤٧).

ســادة قــريش وكبــرائها في مبدأ دعوته المال والجاه والسلطان لكي يتنازل عن دعوته فرفض ذلك وقال: «ما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الـشرف فــيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل إلــيّ كــتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونــصحت لكــم، فــإن تقــبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخــرة، وإن تــردوه علــيّ أصــبر لأمــر الله حتى يحكُم الله بيني وبينكم»[1].

هــذا فــضلاً عــن أنه ﷺ تحمل في سبيل نشر دعوته وأداء رسالته الكثير من المشاق والمتاعب، ولم يطمع في مال ولا جاه وإنما صبر على الكثير من الأذى والقهر إرضاءاً لأوامر الله عز وجل.

وكذلك أيضاً يقال لهؤلاء المفترين، كيف يكون ﷺ حريصاً على جمــع الغــنائم التــي يأخذها بطريق السلب والنهب والتلصص – كما تدعــون – وهــو الذي عاش طوال حياته عيشه الزهد والتقشف حتى أشفق عليه صحابته وراجعوه في ذلك فأبى إلا الحالة التي كان عليها.

يقــول الصحابي الجليل "عبد الله بن مسعود"رضى الله عنه: « نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لــو اتخــذت لك وطاء فقال: "مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[2].

---

(١) الــسيرة النبوية – لابن هشام – ت د / أحمد حجازي السقا – ج ١ ص١٧٧ – ط دار التراث العربي للطباعة والنشر.

(٢) سنن الترمذي – للإمام الترمذي – كتاب الزهد – باب ٤٤١ حديث رقم ٢٣٧٧.

وقالــت الــسيدة عائــشة "رضى الله عنها": «إنا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء»[1].

ولقد فارق الرسول ﷺ الدنيا وما ترك خلفه ديناراً ولا درهماً، روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ «ما ترك عند موته درهماً ولا ديــناراً ولا عــبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة»[2].

كذلك أيضاً يقال لهؤلاء الأفاكين لو كان ﷺ حريصاً على الدنيا وشــهواتها لمــا حــذر أصحابه من الانغماس في شهواتها وملذاتها وتخــوف علــيهم منها فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»[3].

ويكفيــنا للــرد على هؤلاء المستشرقون المتعصبون أن هناك فــريقاً مــن المنصفين من بني جلدتهم قد تولوا الرد على تلك الفرية المــزعومة، فــتجد المفكر الفرنسي "هنري دي كاسترى" يقول: «إن محمــداً مــا كان يميل إلى زخارف الدنيا، ولم يكن بخيلاً وكان يستدر اللــبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب، ويرقع ثوبه ونعاله بيده ويلبــسها مــرقعة وكان قنوعاً، وقد خرج محمد من هذا الباب – أي الدنــيا – ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته وتجرد من الطمع،

(١) أنظر صحيح البخاري – ج ٧ ص١٨١ وأيضاً راجع صحيح مسلم – ج ٤ ص ٢٢٨٢ – حديث رقم (٢٩٧٢).

(٢) صحيح البخاري – كتاب الوصايا – ج٣ ص١٨٦.

(٣) صحيح البخاري – باب الصدقة على اليتامى – ج٢ ص١٢٧.

وتمكــن مــن نــوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها»(١).

ونكــر "كارليل" أن الرسول ﷺ «كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكلــه ومــشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون إنـــه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمــد مــن رجل خشن اللباس، وخشن الطعام، مجتهد في الله، قائم الــنهار، ساهر الليل، دائباً في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان»(٢).

فــلا شك إذن في أن تلك الأقوال التي وردت على ألسنة بعض المنــصفين مــن بني جلدتهم كفيلة بأن تخرس ألسنة هؤلاء الأفاكين وتكمــم أفواههم، فلا يستطيعون أن يعودوا إلى ترديد مثل هذه الأقوال الباطلة المزعومة.

وأمــا ما زعمه المستشرق اليهودي "مرجليوث" من أن النبي ﷺ كــان يــشن حروبه وغزواته على كل من لم يكن مسلماً حتى أنه انتقم من يهود المدينة مطلقاً سواء بسبب حقيقي أو مصطنع، فهذا إن دل عـــلى شئ فإنه يدل على جهل ذلك المستشرق أو تجاهله لشخصية الرســول ﷺ مــن جهــة، وجهله بحقيقة اليهود وتاريخهم من جهة أخــرى، فقــد كــان ﷺ معــروفاً بتسامحه مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقد حذر أصحابه من إيذائهم وأما جهله باليهود وتاريخهم

---

(١) الإسلام والمستشرقين – ص٣١٧.

(٢) الأبطال – توماس كارليل سن / محمد السباعي – ص٩٠ ط الثالثة – المطبعة المصرية بالأزهر.

أو تجاهلــه لــذلك، فلأن النبي ﷺ عندما دخل المدينة لم يكن في نيته التخاصم مع اليهود أو التنازع معهم بدليل أنه عقد معهم معاهدة آمنهم فــيها على دينهم وأموالهم، ولكنهم خانوا العهود ونقضوها وأظهروا عــدائهم للإســلام والمــسلمين، وعــند ذلك كان لابد للرسول ﷺ من مواجهتهم ومحاربتهم [1].

وأمــا ما زعمه "مرجليوث" أيضاً من أن النبي ﷺ كان متجنياً علــى يهود خيبر الذين لم يقترفوا في حقه أي خطأ، فهذا زعم خاطئ ذلــك لأن خيبر كانت "قلعة حربية لليهود وهى آخر معاقلهم في جزيرة العرب، وكان يتربص أهلها بالمسلمين الدوائر، وقد خافوا أن يصيبهم مــا أصاب يهود المدينة، فتآمروا مع غطفان لغزو المدينة فتنبه النبي ﷺ لأمرهم فسير الجيوش نحوهم لكسر شوكتهم وتأمين جهتهم»[2]

وبالــرغم من أن النبي ﷺ قد فتح خيبر بعد قتال مرير إلا أنه دفــع إليهم أموالهم على أن يعملوها بينهم وبين المسلمين بالمناصفة، كما ورد ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: «أعطى رسول الله ﷺ خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها شطر ما يخرج منها»[3].

وعلى أية حال، إن كان ذلك المستشرق اليهودي قد جهل ذلك أو تجاهلــه نتــيجة لتعــصبه لبنــي جلدته من اليهود، فإن غيره من المستشرقين لم يجهلوا ذلك فقد ذكر المستشرق "مونتجمري وات" «أن يهود خيبر وخاصة رؤساء قبيلة بني النضير التي أجلاها الرسول ﷺ

---

(١) انظر السيرة النبوية – لابن هشام – ج٢ ص ٣١٨:٣١٩ بتصرف واختصار.

(٢) السيرة النبوية – لأبي الحسن الندوي– ص ٣٥١ – منشورات المكتبة العصرية – بيروت.

(٣) صحيح البخاري – ج٣ ص ٥٥ – كتاب الإجارة.

مــن المدينــة كانوا يضمرون الحقد لمحمد وهم الذين نجحوا في حمل قـبائل العـرب المجـاورة على حمل السلاح على المسلمين والزحف علـيهم، بما بذلوه من أموال، وكان ذلك هو السبب الرئيسي في توجه محمد إلى خيبر بجيوشه»[1].

وجملــة القــول، لا يسعنا في نهاية الحديث عن الشبهات التي أثارهــا المستــشرقون حــول شخــصية النبي ﷺ إلا القول بأن هذه الادعــاءات والافتــراءات ليست بمستغربة على هؤلاء وخصوصاً إذا صدرت من المستشرقين اليهود، الذين عرفوا بأنهم أشد الناس عداوة للإســلام والمــسلمين، وصــدق الله تعالى إذ يقول في كتابه الكريم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[2].

ثانياً: شبهات المستشرقين التــي أثاروها للطعن في النبوة نفسها:-

لقــد عمــد المستشرقون إلى الطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ فأثــاروا بعض الشبهات الدنيئة التي لا يقبلها العقل، وما هي إلا مجرد أفكــار واهية أوهى من خيوط العنكبوت وهي إن دلت على شيء فإنها تدل على كذب هؤلاء المستشرقين وتلفيقهم وقلبهم للحقائق الثابتة التي لا يمكــن إنكارهــا، وهــذا ليس بغريب عليهم وإنما هو شأن آباءهم وأســلافهم مــن قبل الذين قال فيهم الله عز وجل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) المصدر السابق – ص ٣٥٢.

(٢) سورة المائدة آية (٨٢).

(٣) سورة آل عمران آية: (٧١).

وإليك نماذج من الشبه التي أثاروها للطعن في النبوة والرد عليها :-

أ- إنكار المستشرقين للبشارات الواردة في الكتب السماوية السابقة:-

حاول بعض المستشرقين الطعن في سيدنا محمد ﷺ فعمدوا إلى التشكيك في دلائل نبوته ﷺ ومن بينها البشارات الواردة في الكتب السماوية السابقة فذكر المستشرق اليهودي "فنسنك" أن معرفة أهل الكتاب بالنبي من قبيل الأساطير حيث يقول بعد سرد قصة بحيري الراهب: «وليس لدينا ما نقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير»[1].

وذكر "هورفتس": «أن الآية "١٥٦" [2] من سورة الأعراف قد أقنعت المؤمنين بأن التوراة قد بشرت بقدوم محمد ﷺ، وترد المحاولات التي بذلت لإثبات ذلك إلى صدر الإسلام، ولكن لم يحدث إلا في منتصف القرن الثالث أن سبقت فقرات بعينها من التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم مترجمة حرفية وفسرت بأنها بشائر بقدوم محمد»[3].

---

(١) السيرة النبوية – لابن هشام – ج٢ ص ٢٦٠.

(٢) الآية قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ﴾

(٣) دائرة المعارف الإسلامية – ج١٦ ص ٥٠٢. نقلاً عن مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة العدد التاسع سنة ٢٠٠٣م بحث الاستشراق اليهودي خصائصه وأباطيله – د/ عبدالعزيز المرشدي – ج٢ – ص ١٢٣٣.

بيـنما يقرر "شاخت" أن المسلمين لم يطلقوا على محمد اللقب المبشر به قبل منتصف القرن الثاني.(١)

الـرد علـى ذلـك :-

لا يخفـي علينا ما في هذا الكلام من السخافة والهراء، فضلاً عن التناقض الوارد في نصوص بعضهم، وهذا إن دل على شيء فإنه يـدل علـى جهـل هؤلاء بحقيقة ما ورد في كتبهم المقدسة، فالثابت والمعلـوم لدينا أن البشارات بالنبي محمد ﷺ ثابتة بالأدلة القطعية في الـتوراة والإنجـيل بدليل أن بعض العقلاء من أهل الكتاب أمثال " ابن سـلام" قـد صـدقوا ببعثته ﷺ واقروا بأنهم كانوا يعرفونه أكثر من معرفتهم لأبنائهم.

ويكفيـنا أن القرآن الكريم معجزة النبي الكبرى قد أكدت على بـشارات التوراة والإنجيل برسول اسمه "أحمد ". وأما تناقص أقوالهم فـي أن البـشارات بالنبي ﷺ لم تحدث إلا في القرن الثاني أو الثالث فيبطلها تأكيد القرآن الكريم على وجود تلك البشارات.

ب- إنكار إرهاصات النبوة:-

لقـد أنكر بعض المستشرقين إرهاصات النبوة التي تسبقها من ذلك ما ذكره "ولافيدا" حيث قال: «ويجب ألا نجهل بالقصة الواردة في كتاب الطبري عن فاطمة بنت مر كاهنة تبالة التي شاهدت نوراً سماوياً يتلألأ على وجه عبد الله بن عبد المطلب والد النبي»(٢).

---

(١) السيرة النبوية – ج٢ ص ٢٥٨ .

(٢) دائرة المعارف – ج١٦ ص ٥٠٢ – نقلاً عن الاستشراق خصائصه وأباطيله – ج٢ – ص ١٢٣٣ .

الــرد علــى ذلــك :-

لا شــك أن هذه رواية كاذبة لا أساس لها من الصحة ونحن نرفــضها لعــدم التيقن من ثبوتها وصحتها، فنبوة سيدنا محمد ﷺ لا تــتوقف على مثل هذه الروايات المكذوبة، فالرواية وردت في كتاب " تاريخ الطبري" والمعروف أن تاريخ الطبري مملوء بالروايات المكذوبة والإسرائيليات المدسوسة التي لا أساس لها من الصحة.

وأمــا المستشرقون فإنهم يرفضون تلك الرواية لأنهم يريدون التــشكيك فــي نــبوة سيدنا محمد ﷺ ويحاولون إنكارها بشتى السبل بــصرف النظر عن تيقنهم من صحة الرواية أو كونها مكذوبة، بدليل أنهــم رفضوا الكثير من الإرهاصات التي ثبت صحتها مثل النور الذي رأته السيدة آمنة أم النبي ﷺ ومثل شق صدره ﷺ، وتظليل الغمامة له ﷺ إلى آخر الإرهاصات التي تؤكد صدق نبوته ﷺ.

جـ- إنكار معجزات النبي ﷺ :-

لقد عمد المستشرقون إلى إنكار معجزات النبي ﷺ لكي يصلوا إلــى إنكار نبوته فذكر أحد المستشرقين «أن النبي لم يظهر آية أخرى غيــر القــرآن الكريم تدل على أنه ساحر وهو لم يكن ممن يصنعون العجائــب كموســى وســليمان وعيسى وجاء في الآية "٣" من سورة الأنبياء أنه لم يأت بآية من هذا القبيل»[1].

---

(١) دائــرة المعارف – ج١١ ص ٣١١ – نقلاً عن المصدر السابق – ج٢ – ص ١٢٣٢.

الـرد علـى ذلـك :-

يقال لدعاة المستشرقين إن معجزات الرسول ﷺ ثابتة بالتواتر القطعـي الـذي يفـيد اليقين ومنكرها كافر بلا شك، وأعظمها القرآن الكريم تلك المعجزة الخالدة التي تحدى بها الرسول ﷺ أكابر العرب من أربـاب الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الإتيان بمثلها، بل أنهم عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة أو حتى آية واحدة من القرآن الكريم.

ولا شـك أن معجـزة القرآن الكريم وحدها كفيلة بالتدليل على صدق نبوته ﷺ فقد حوت الكثير من العجائب التي لا حصر لها.

وأمـا مـا زعموه من أن الرسول ﷺ لم يأت بمعجزات عجيبة كالتـي جـاء بهـا الرسـل السابقين كموسى وعيسى عليهما السلام وغيـرهما، فـتلك حجة واهية تدل على فرط جهلهم، ذلك لأن كل نبي يبعـثه الله عـز وجل إلى قومه كان يؤيده بالمعجزات الموافقة لزمانه وعـصره الذي بعث فيه، فموسى عليه السلام بعث بين قوم اشتهروا بالـسحر فأيـده الله تعالـى بما يخرس ألسنتهم ويعجزهم عن الإتيان بمـثله، مثل قلب العصا حية، وإخراج يده من جيبه بيضاء وغير ذلك، وعيـسى علـيه الـسلام بُعـث بين قوم اشتهروا بالطب فجاءهم بما اشتهروا به ولكن يعجزوا عن الإتيان بمثله، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فلم يبعث بين قوم سحرة ولا أطباء، وإنما بعث بين قوم اشتهروا بالفصاحة والبلاغة فكانـت معجزته من جنس ما اشتهروا به، وهي القرآن الكريم فعجزوا عن الإتيان بمثله. أضف إلى ذلك أن معجزاته ﷺ كثيرة ومتعددة وكلها تـدل على صدقه ﷺ في دعوته مثل حنين الجزع ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ وانشقاق القمر وغير ذلك كثير.

وأما استدلالهم بالآية الثالثة من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فهذا استدلال خاطئ لا أساس له من الصحة لأن تلك الآية ليست فيها دلالة على ما يدعون، وإنما المقصود هي الآية الخامسة وهي قوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ .

د- مهاجمة السنة النبوية والطعن فيها:-

لقد عمد بعض المستشرقين إلى الطعن في السنة النبوية المطهرة فشككوا في صحة الأحاديث النبوية، وطعنوا في كثير من رواة الأحاديث من الصحابة والتابعين لكي يصلوا من وراء ذلك كله إلى إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ ذلك "لأنهم نظروا إلى تلك الثروة الهائلة من الأحاديث النبوية فأنكروا أن يكون محمد الأمي ﷺ مصدراً لذلك فعملوا عقولهم على قطع الصلة ومحو العلاقة بين تلك الأحاديث وبين النبيﷺ" (١).

ومن هنا فقد عمدوا إلى إثارة الكثير من الشبه للقدح في حديث البني ﷺ وبالتالي الطعن فيه عليه الصلاة والسلام وإنكار نبوته.

ويعتبر المستشرق اليهودي "جولد زيهر" أول مستشرق قام بمحاولة التشكيك في السنة النبوية المطهرة، فقد ادعي "جولد زيهر" أن الأحاديث النبوية المنسوبة إلى الرسول ﷺ إنما هي من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب حيث قال: «ولا نستطيع أن نعزو

---

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم – د/ مصطفى السباعي – ص ٢٢ – ط الثانية – مطبعة المكتب الإسلامي.

الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول ﷺ أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلي، بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يري عليها شائبة في ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول ﷺ وأصحابه» [1].

ويتابع "زيهر" تزييفه وتشكيكه في الأحاديث النبوية فيقول: «وقد اعترف أنس بن مالك، الذي صاحب الرسول عن قرب عشر سنوات، عندما سئل عما يحدث عن النبي هل حدثه به فعلاً فقال: ليس كل ما حدثنا به سمعناه عن النبي ولكننا لا نكذب بعضنا» [2].

ويستطرد "زيهر" في تزييفاته وافتراءاته فيقول: «إن القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني، فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول عهد طفولته وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطوير الإسلام» [3].

هذا ولم يكتف "جولد زيهر" بالطعن في الأحاديث النبوية والتشكيك في صحة نسبتها للرسول ﷺ وإنما عمد إلى الطعن في بعض

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام – لجولدزيهر – ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق – ص٥٥.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – د/ مصطفى السباعي – ص ١٩١ ط الثانية – المكتب الإسلامي.

رواة الأحاديث من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ومن أمثلة الطعن في الصحابة:

الطعن في الصحابي الجليل "أبي هريرة" رضي الله عنه:

لقد طعن المستشرق اليهودي "جولد زيهر" في صحة رواية "أبي هريرة" – رضي الله عنه – للحديث وشكك في نسبة رواية بعض الأحاديث إليه.

فنجده يقول: «وقد شجعته ملازمته للنبي على أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة وتقدر الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، ولا ريب أن عدداً كبيراً منها قد نحل عليه ونجد بين الذين رووا عن أبي هريرة كثيراً من أكابر الإسلام، وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عدداً عظيماً من الأحاديث، فقالوا: أن البني لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع ... وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح، الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص، ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر، وقد اضطر أحياناً أن يدفع عن نفسه تقول الناس، كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك»[1].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية – ج١ ص ٤١٨: ٤١٩.

ومن أمثلة الطعن في التابعين رضوان الله عليهم:

الطعن في الإمام الزهري رضي الله عنه:-

فنجد المستشرق اليهودي "جولد زيهر" يشكك في رواية الإمام "الزهري" للحديث فيدعي أنه كان يضع الحديث على الرسول ﷺ فزعم «أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير وبني قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"(1). ومنها حديث: "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة في ما سواه(2)" (3).

ويستدل "زيهر" على أن الأمام "الزهري" هو واضع هذه الأحاديث بأن الزهري "كان صديقاً لعبد الملك وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط"(4).

---

(1) صحيح البخاري – ج٢ ص ٥٦ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

(2) سنن ابن ماجه – ج١ ص ٤٥٣ – حديث رقم [١٤١٣].

(3) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – ص ١٩١.

(4) المصدر السابق – ص ٢٠١.

الرد على تلك الافتراءات الكاذبة :-

في الواقع أن ما زعمه " جولد زيهر" من ادعاءات وافتراءات حول السنة المطهرة مجرد مزاعم باطلة لا أساس لها من الصحة والواقع والتاريخ يكذب هذه المزاعم ويدحضها، ذلك لأنه يبغي من وراء قدحه في السنة النبوية والطعن في الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم الوصول إلى إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ وإنكار الوحي الإلهي.

والحقيقة أن دعوى " زيهر" بأن الأحاديث النبوية ليست منسوبة للرسول ﷺ وإنما هي من صنع وتأليف الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، دعوى كاذبة لا تستند إلى دليل علمي ولا حقيقة واقعية، وإنما هي مجرد افتراءات واهية أوهى من خيوط العنكبوت، فالصحابة والتابعون منزهون عن أن يخوض فيهم مثل هذا الكاذب الأفاك، ذلك لأن الله تعالى أثنى عليهم وامتدحهم في أكثر من آية في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (١).

وقال أيضاً جل شأنه ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ

---

(١) سورة الفتح آية: (٢٩).

لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

كما أن الرسول ﷺ أثنى عليهم وعدلهم حيث قال ﷺ "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[2].

كما أن إجماع الأمة قد انعقد على تعديل جميع الصحابة وفضلهم وشرفهم، يقول ابن الصلاح: «إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم ونظراً لما تمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة»[3].

إذن فالصحابة رضوان الله عليهم عدول لا يمكن أن يتلاعبوا بحديث الرسول ﷺ أو أن يفتروا عليه الكذب، ولو وقع من أحدهم الكذب – وحاشاهم – لا نكشف أمره وافتضح على رؤوس الأشهاد، ولوصل إلينا ذلك كما علمنا غيره من الأخبار.

---

(١) سورة التوبة آية:(١٠٠).

(٢) صحيح البخاري – كتاب الشهادات ج٣ ص ١٥١.

(٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث – للشهرزوري – ص١٤٧ ط دار الحكمة دمشق.

وكيف لهم أن يتلاعبوا بكلام رسول الله ﷺ ويضعوا عليه الحديث وهو القائل «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» [1] وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم ذلك أدركوه تمام الإدراك.

وأما استشهاده بكلام انس بن مالك رضي الله عنه " ليس كل ما حدثنا به سمعناه عن النبي ولكننا لا يكذب بعضنا بعضاً" فهذا الكلام يعتبر حجة على ذلك الأفاك تدل على كذبه وضلاله وافتراءه، ذلك لأن قول أنس رضي الله عنه ليس فيه دلالة على الوضع والكذب على النبي ﷺ كما يدعي "زيهر" وإنما مقصود أنس رضي الله عنه أنه أراد أن يوضح أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يكذبون على النبي ﷺ ولا توجد صفة الكذب لوثوق بعضهم ببعض واشتهارهم بعدم الكذب، ولم يكن مقصده كما زعم "زيهر" من أنهم كانوا يثقون بعضهم ببعض ثقة عمياء لا أساس لها من الحقيقة والواقع.

وأما ما زعمه من أن الحديث جاء نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي خلال القرون الأولي، ودعواه بأن الإسلام كان في القرن الأول في مرحلة الطفولة ثم نضج في القرون المتأخرة بعد وفاة الرسول ﷺ، فتلك مزاعم باطلة ودعاوى يكذبها الواقع والتاريخ، ذلك لأن الإسلام قد أكمل في حياة الرسول ﷺ في جميع عباداته وعقائده ومعاملاته وأخلاقه، ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن اكتمل الإسلام وبلغ مرحلة النضوج على يديه ﷺ بدليل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

(1) صحيح البخاري – كتاب العلم – ج١ ص ٣٥ وأيضاً راجع صحيح مسلم – باب الزهد ج٤ ص ٢٢٩٨ حديث رقم [٣٠٠٤].

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [1]. وأيضاً قوله تعالى ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2].

ومـــن أقـــوى الأدلـــة على نضوج الإسلام واكتماله في حياة الرسول ﷺ في القرن الأول أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ساس مملكتي الفرس والروم بأحسن مما كان يسوسهما ملكاها وهما على ما علـــيه من الرقي والحضارة، فلو كان الإسلام قاصراً في ذلك الوقت لم يكـــتمل نضجه لما استطاع الفاروق أن يقيم الأمن والعدل والسعادة في ربوع تلك البلاد الواسعة[3].

وأمـــا طعـــنه في الصحابي الجليل "أبي هريرة" رضي الله عنه واتهامـــه إياه بعدم الثقة والعدالة فهذا اتهام باطل غير صحيح لأن أبا هريـــرة صحابي معروف بين جميع الصحابة والتابعين بعدالته وثقته، ولـــم يجـــرب علـــيه أحد الكذب والوضع على رسول الله ﷺ ، وجميع الـــصحابة رضوان الله عنهم كانوا يأخذون عنه الحديث ولم يطعن أحد في روايته، وفضلاً عن ذلك انه كان معروفاً بقوة حافظته وذاكرته وقد شهد له جميع الصحابة والتابعين بذلك.

وأمـــا دعوى "زيهر" أن " أبا هريرة" روي الكثير من الأحاديث التـــي تقـــدر بحوالـــي خمسمائة وثلاثة آلاف حديث وزعمه بأن تلك الأحاديـــث قد نحل عليه عدد كبير منها، فتلك دعوى باطلة لا سند لها من الواقع وهي تحتاج إلى دليل، فأين الدليل على أن تلك الأحاديث قد نحلت عليه؟ وما هي تلك الأحاديث التي يدعى أنها نحلت عليه؟

---

(١) سورة المائدة آية(٣).

(٢) سورة النعام آية (٣٨).

(٣) أنظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – ص ١٩٦ بتصرف.

والحقيقة أن هناك الكثير من الأحاديث الموضوعة نسبت إلى أبي هريرة رضي الله عنه وغيره من الصحابة بيد أن علماء الحديث والسنة الذين أخذوا على عاتقهم المحافظة على السنة النبوية، تقصوا ذلك وعرفوه وفرقوا بين الصحيح والموضوع حتى لا يختلط الأمر على الناس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لماذا اختار أبو هريرة بالذات دون غيره من الصحابة للطعن فيه مع أن هناك كثير من الصحابة نسبت إليهم كثير من الأحاديث الموضوعة؟

وعلى فرض أن أبا هريرة قد نحل عليه الكثير من الأحاديث -كما يدعي ذلك المستشرق- فإن ذلك يعد مدحاً له وليس طعناً فيه، ذلك لأن الوضاعين للأحاديث المكذوبة قد أدركوا منزلة أبي هريرة وفضله وشرفه وثقته وعدالته في روايته للأحاديث، وقوة ذاكرته وحفظه، فأرادوا أن يسندوا إليه بعض الأحاديث الموضوعة لكي تلقي رواجاً وقبولاً بين الناس.

وأما ما زعمه "زيهر" من أن الناس قد اختلقوا قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرة أبو هريرة عن الوقوع في الخطأ، فهذا زعم باطل وجهل مفرط، لأن المعروف أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء والرسل عليهم السلام فقط، وأما الصحابة فليسوا معصومين شأنهم شأن سائر البشر.

وأما ما ورد من حادثة بسط بردة الرسول ﷺ لأبي هريرة فأصبح لا ينسى شيئاً سمعه عن الرسول ﷺ أبدا، فهي صحيحة لا طعن فيها ولم يختلقها الناس من تلقاء أنفسهم، ومما يؤكد لنا صحتها أنها وردت في صحيحي البخاري ومسلم رضي الله عنهما، والمعروف أنهما لا يجمعان إلا الأحاديث الصحيحة التي لا شك فيها.

وأما ما زعمه "جولدزيهر" من أن روايات أبي هريرة قد تضمنت أتفه الأشياء لما أمتاز به أبو هريرة من روح المزاح الأمر الذي أدى إلى ظهور الكثير من القصص، فهذا زعم باطل لايستند إلى دليل، فأين هي تلك الأحاديث التافهة وحاشى لله أن ينطق النبي ﷺ بكلام تافه لا معنى له، وحاشى لصحابته الكرام أن يرددوا كلاماً لا معنى له، ومن هنا كان يجب على ذلك الأفاك أن يضرب لنا مثالاً لتلك الأحاديث التي يعتقد من وجهة نظره أنها تافهة أو يشير إليها أين وردت، حتى يكون كلامه عقلي منطقي مبني على دليل واضح، بدلاً من أن يتحدث بكلام هراء لا معنى له يثير سخرية الناس منه.

وأما بالنسبة لما عرف عن أبي هريرة رضي الله عنه من كثرة مزاحه فهذا لا يعد طعناً فيه، لأن المزاح أمر مستحسن تميل إليه الطباع البشرية وتستحسنه النفوس، أضف إلى ذلك أن المزاح "خلق أكرمه الله به وحببه به إلى الناس جميعاً وما كان المزاح في دين الله مكروهاً وإلا كانت الثقالة وغلاظة الحس والروح أمراً محبوباً في الإسلام وحاشاً لله ولرسوله أن يستحبا ذلك وقد قال الله لرسوله:" ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [1] ما كان المزاح خلقاً معيباً عند كرام الناس، وقد كان رسول الله يمازح أصحابه، وكان الصحابة يمزحون"[2].

وأما ما زعمه "زيهر" من أن كثرة أحاديث أبي هريرة قد أثارت الشك في نفوس الذين أخذوا عنه فعبروا عن شكوكهم بأسلوب ساخر

---

(١) سورة آل عمران آية(١٥٩).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع – ص ٣١١: ٣١٢.

مما اضطره أن يدفع عن نفسه تقولهم، فهذا لا يعد طعناً في أبي هريرة لأنــه بالفعـل روى الكثيــر من الأحاديث عن الرسول ﷺ وبعد رحيل الرســول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وتفرق أصحابه في الأمصار، رأي أن الواجب يحتم عليه أن يبلغ تلك الأحاديث خوفاً من عاقبة الكتمان فأثار ذلــك الغرابة والعجب في نفوس السامعين فلم يشكوا فيه ولم يكذبوه، وإنما سألوه عن السبب على سبيل الاستفهام ليزيل بذلك عجبهم، فلما ذكر لهم السبب سكتوا عنه مطمئنين، فلما ذكر لهم السبب سكتوا عنه مطمئنين، ولم ينقطع أبو هريرة عن رواية الحديث طوال عمره[1].

وهكــذا تــبطل جمــيع افتراءات ومزاعم المستشرق اليهودي "جولدزيهر" حول الصحابي الجليل "أبو هريرة" رضي الله عنه، وتصبح حجــة علــيه لعــدم اســتنادها إلى حقائق علمية ثابتة، ومن هنا كان الــواجب علــى ذلك المستشرق قبل أن يتحدث بكلام هراء سخيف لا معني له عن شخصية كشخصية أبي هريرة، أن يراعي الدقة والحيادية والموضــوعية في كلامه بدلاً من أن يلقي بالتهم جزافاً دون أن يستند إلى أدلة واقعية ومنطقية.

وأمــا طعــنه فــي الإمــام "الزهري" رضي الله عنه أحد كبار التابعين رضوان الله عنهم، واتهامه إياه بأنه أعان الأمويين على وضع الأحاديــث التــي تؤيد وجهة نظرة في منع الناس من الحج أيام فتنة الزبير وتوجيههم إلى قبة الصخرة في المسجد الأقصى بدلاً من الكعبة، فهــذا زعــم باطــل لا أساس له من الصحة، ذلك لأن الإمام الزهري معروف بدينه وصدقه وأمانته في ورايته للأحاديث ولم يتهمه أحد قط من علماء الأحاديث بعدم الثقة والوضوح، فمن أين أتى هذا اليهودي

---

(١) المصدر السابق – ص ٣١٣ بتصرف.

الماكر بذلك الإدعاء؟ لا شك أنه أتى به من خياله نتيجة لما يجري في دمه من حقد على الإسلام توارثه عن أجداده الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] فإذا استطاعوا الكذب على الله تعالى، فمن السهل عليهم التجريح في أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم.

ولا يخفى علينا أن "زيهر" بزعمه هذا يحاول أن يوهم الناس " بأن الزهري كان تابعاً لذوي السلطة يجري في ملكهم ويستمتع بالقرب منهم في مقابل ما يؤديه لهم من خدمات في تخصصه – أي في علم الحديث – حيث يخترع لهم الأحاديث التي تكسو رغبتهم ثوباً دينياً"[2].

والحقيقة أن هذه دعوى مدسوسة لا وجود لها إلا في خيال ذلك اليهودي الماكر، لأن التاريخ لم يذكر لنا أن الأمويين قد عمدوا إلى وضع الأحاديث لكي يعمموا بها رأياً من الآراء، وعلى فرض أنهم عمدوا إلى ذلك بالفعل فأين هي تلك الأحاديث التي يزعم أن الزهري وضعها؟

لقد زعم "زيهر" أن عبد الملك بن مروان بني قبة الصخرة ليحول بين أهل الشام والعراق وبين الحج إلى الكعبة فأرادا أن يلبس عمله هذا ثوباً دينياً لكي يلقي قبولاً بين الناس، فأمر صديقه الزهري أن يضع له حديثاً فوضع له حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ..." وكذلك حديث "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة في ما سواه".

---

(١) سورة آل عمران آية (٧٥).

(٢) المستشرقون والتراث – د/ عبد العظيم الديب – ص ٢٩ ط دار الوفاء للنشر.

لا شك أن ما زعمه "زيهر" مجرد إدعاء كاذب لا أساس له من الصحة، ذلك لأن جميع المؤرخين الثقات قد أجمعوا على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك وليس عبد الملك نفسه وقد أكد على ذلك الطبري وابن الأثير وابن عساكر وابن كثير وابن خلدون وغيرهم، أضف إلى ذلك أن زعمه أن "عبد الملك بن مروان" هو الذي بنى قبة الصخرة ليحج الناس إليها بدلاً من الكعبة زعم فاسد لأن ذلك الفعل لا يمكن أن يصدر عن عبد الملك لأنه كفر، وكيف يصدر عنه ذلك وهو الذي أعاد بناء الكعبة مرة أخرى على ما كانت عليه في عهد النبي ﷺ بعد مقتل الزبير، أضف إلى ذلك أنه لم يثبت في التاريخ كفر أحد من حكام المسلمين، فكيف بعبد الملك الذي كان يلقب بحمامة المسجد[1].

وأما استشهاد "زيهر" بحديث "لا تشد الرحال" فقد ثبت أن الحديث صحيح لا شك فيه لأنه ورد في كتب الصحاح الستة ورواه الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده وغيرهم من أئمة الحديث الثقات، إذن فالحديث صحيح لا شك فيه وهو مروي من طرق مختلفة غير الزهري، ولم ينفرد الإمام الزهري بروايته وحده حتى يتهم بوضعه، أضف إلى ذلك أن الحديث "ليس فيه فضل قبة الصخرة وليس فيه ما يشير إلى الدعوى إلى الحج إليها والطواف حولها بدلاً عن الكعبة – كما يدعي زيهر – وغاية ما فيه فضل الصلاة في بيت المقدس وزيارته"[2].

---

(١) أنظر السنة ومكانتها في التشريع – ص ٢١٨ بتصريف.

(٢) المصدر السابق – ص ٢١٩

وأمـــا حــديث "الــصلاة إلى بيت المقدس تعدل ألف صلاة" فلم يــرويه الإمــام الزهري قط حتى يتهم بوضعه وإنما رواه أئمة آخرين أمثال الإمام الطحاوي في " مشكل الآثار"[1] وابن ماجه في سننه[2].

كيفية مواجهة الفكر الاستشراقي الطاغي:-

وأخيــراً وقــد بلغ البحث غايته نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفــسه آلا وهــو كــيف يمكن مواجهة الفكر الاستشراقي ؟ ، وما هو السبيل لمواجهة ذلك الفكر الطاغي؟

وللإجابة على ذلك التساؤل نقول:

لقــد قــيض الله عــز وجل علماء أجلاء مخلصين حملوا راية الدفاع عن الإسلام ورسوله الكريم، فضربوا لنا أروع الأمثال في الذب عن الدين وضحوا بكل غال ونفيس من أجل الدفاع عن الدين ومن هنا فــإن السبيل لمواجهة ذلك الفكر الطاغي يكون – من وجهة نظري – علــى عاتق علماء الأمة الإسلامية ومفكريها الأجلاء، وإذا كانت هناك مقــولة مشهورة تقول:" إن الفكر لابد أن يواجه بالفكر" فالواجب على علمـــاء المــسلمين وقادتهم أن يعملوا على تضييق الخناق على الفكر الاستــشراقي ومواجهته بالفكر الإسلامي، ذلك لأن "المواجهة الفكرية الجــادة هـــي الطــريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمــسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل

---

(١) راجع الحديث في مشكل الآثار – للإمام الطحاوي – ج١ ص ٢٤٩ ط دار صادر – بيروت

(٢) الحديث ورد في سنن ابن ماجه بلفظ مقارب لرواية الطحاوي ج١ ص ٤٥٣ – رقم " ١٤١٣ " – المكتبة الإسلامية للطباعة

جدية، ونأخذ في الحسبان أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي على السواء، ولهذا لابد من التوافر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة، ولما كان الفكر الاستشراقي مكتوباً بشتى اللغات الحية ومنتشراً انتشاراً واسعاً على مستوى عالمي فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمي نفسه"[1].

كذلك أيضاً الواجب على علماء المسلمين في مواجهة الفكر الاستشراقي أن يتعاونوا على إنشاء دائرة معارف إسلامية يقوم بالإشراف عليها نخبة مختارة منهم بدلاً من دائرة المعارف الإسلامية الموجودة الآن فإنها من تأليف جماعة من المستشرقين الغرب.

وفي ذلك يقول د/ حمدي زقزوق «مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية من بين الأولويات العلمية الملحة فلا يجوز أن نظل نقتات فكرنا من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بإعدادها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة. وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوربية تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطاً وتنظيماً وتتفوق عليها علمياً» [2].

كذلك أيضاً الواجب على علماء المسلمين أن يوجهوا تركيزهم على الشباب المسلم في المدارس والجامعات والمعاهد فيقوموا بتوجيه النصائح إليهم وتوعيتهم بالخطر الزاحف عليهم من قبل الفكر

---

(١) الاستشراق والخلفية التاريخية للصراع الحضاري- د/ زقزوق – ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق – ص ١٣٢.

الاستشراقي الداهم وذلك من خلال تعرفهم بحقيقة الاستشراق وأهم مخططات المستشرقين التي يبغون من وراءها القضاء على الإسلام والطعن في رسوله الكريم.

كذلك أيضاً يجب على الكتاب المسلمين أن يكون لهم دور بارز في مواجهة الفكر الاستشراقي الطاغي، من خلال نشر العديد من الكتب، وإصدار المقالات في الصحف اليومية والمجالات الأسبوعية والدوريات السنوية، التي توضح لنا الأغراض الحقيقة للاستشراق، مع ضرورة ترجمة تلك الكتب ونشر تلك المقالات باللغات المختلفة وتوزيعها في شتى أنحاء العالم، وذلك لمحاصرة الفكر الاستشراقي وصد هجومه والوقوف أمام زحفه الطاغي.

وأخيراً يجب على علماء المسلمين أن يكون لهم دور إيجابي وفعال في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في مختلف العواصم العالمية،وهذا يستلزم ضرورة حضور نخبة مختارة من العلماء المسلمين لهذه المؤتمرات حتى يقوموا بتصحيح المفاهيم الخاطئة التي يصورها أعداء الإسلام من المستشرقين عن الإسلام ورسوله الكريم أمام المحافل الدولية المختلفة.

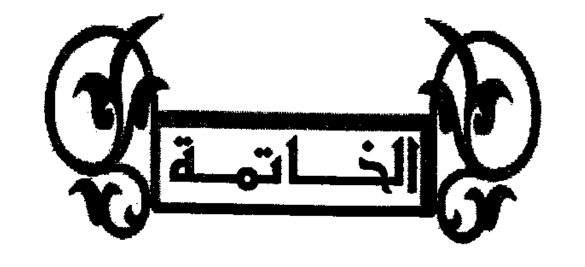
وفي الختام، يكفينا في مواجهة ذلك الفكر الاستشراقي الطاغي، أن نردد دائماً ما قاله أحد أخوانهم من بني جلدتهم "توماس كارليل" حيث قال: "إن من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء – يقصد أولئك المستشرقون المتعصبون تعصباً أعمى – فإنها نتاج جيل كفر وعصر

جحــود وإلحـــاد، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان" [1].

فــلا شــك أن هذه المقولة خير دليل على إبطال جميع مزاعم المستشرقين وشبهاتهم حول الإسلام على وجه العموم، وحول الوحي والنبوة على وجه الخصوص.

---

(١) الأبطال – توماس كارليل – ص ٥٨.



الآن وقد بلغ البحث غايته فلابد لنا من وقفة أخيرة نستجمع فيها ثمار ذلك البحث ونستقطب فيها أبرز المعالم الفكرية التي انتهى إليها.

وقد أسفر البحث عن أهم النتائج الآتية:-

أولاً : لقد تطرق الاستشراق إلى جميع المجالات الإسلامية المختلفة - العقيدة والشريعة والتاريخ وغيرها- ولم يترك مجالاً إلا وأدلى فيه بدلوه، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا وقال فيها كلمته، ولم يهمل رأيا مهما كان تافهاً إلا وأشبعه بحثاً وتحليلاً، وهو يبغي من وراء ذلك كله محاربة الإسلام والقضاء عليه وتقويض دعائم النبوة وإنكارها.

ثانياً : أن المستشرقين المتعصبين امتداد لأجدادهم من اليهود والنصارى الذين بذلوا كل ما في وسعهم قديماً لطمس معالم الإسلام وتقويض دعائمه، وهاهم أبنائهم وأحفادهم من بني جلدتهم يسيرون على نفس الدرب فيعمدون إلى إثارة الكثير من الشبهات للتشكيك في الإسلام والطعن في نبيه الكريم.

ثالثاً : بالرغم من تعدد الدراسات الاستشراقية في كثير من المجالات المختلفة إلا أن معظمهم لم يستطع أن يتخلص من التعصب الأعمى والهوى وتصيد الأخطاء وإبراز المساوئ التي يرون أنها تلم بالإسلام، أضف إلى ذلك أن نفوسهم لا تزال مليئة بالحقد والكيد والعداء للإسلام والمسلمين، الأمر الذي أدى إلى عدم التزامهم أثناء دراستهم للإسلام

بقـواعد الـنقد العلمـي السليم التي تستلزم النزاهة والدقة والحيادية والموضوعية.

رابعاً : بالـرغم من أن معظم المستشرقين لم يلتزموا النزاهة والدقة والموضـوعية أثـناء دراستهم لكثير من المجالات الإسلامية، إلا أننا وجـدنا طرفاً من بني جلدتهم من المستشرقين المنصفين أمثال "ماكس مايـرهوف" وغيـره قـد قالـوا كلمة الحق عن الإسلام بموضوعية وصراحة كاملة.

خامساً : لقـد أدرك المستشرقون أن الوحي هو المفتاح لباب النبوة، وعـرفوا أن النبوة والوحي وجهان لعملة واحدة، فلا نبوة بدون وحي ولا وحي بدون نبوة. فعمدوا إلى إثارة الكثير من الشبهات حول الوحي الإلهـي بغـية الوصول إلى الطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ وإنكارها ونفيها.

سادساً : بالرغم من أن الدراسات الاستشراقية كانت مليئة بالآراء التي تهـاجم الإسلام وتطعن في نبيه إلا أن نزاهة البحث العلمي تحتم علينا أن نعطي لكل ذي حق حقه، فالدراسات الاستشراقية لم تكن أبداً خالية مـن الفائدة العلمية على طول الخط، وإنما كان لها فائدة لا مناص لنا مـن الاعتراف بها، فقد "قام المستشرقون بجمع المخطوطات العربية الإسـلامية وفهرسـتها وحققـوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية المـتعارف عليها، ونشروها نشراً علمياً خالصاً، وترجموا الآلاف من هـذا التراث إلى اللغات العالمية وعرفوا العالم بأثره بحضارتنا وتراثنا

ومـــن هـــنا فـــإن تلك الدراسات تستحق منا الإطلاع عليها ودراستها بموضوعية وحياد"[1].

سابعاً : لقـــد قـــيض الله تعالى للأمة الإسلامية علماء أجلاء مخلصين كرسـوا حـياتهم للدفاع عن الإسلام ورسوله الكريم وضحوا بحياتهم وأرواحهم من أجل المحافظة على الإسلام وإعلاء كلمته.

ثامناً : وأخيــراً الواجب على جماعة المسلمين في شتى أنحاء العالم فـــي مـــشارق الأرض ومغربها أن يفيقوا من غفلتهم ويستيقظوا لما يدبـــره لهـــم أعداء الإسلام من مكائد، وأن يتمسكوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم، حتى يمكنهم أن يواجهوا ذلك الفكر الاستشراقي الطاغي.

وبعد فهذا ما تيسر لي من خلال الدراسة والبحث فإن كنت قد وفقت فبفضل الله عز وجل وكرمه علي، وإن تكن الأخرى فحسبي أني بـــشر يخطـــئ ويصيب والكمال لله -عز وجل- وحده، والعقل البشري قاصر ومحدود ومهما توصل فلابد له من بعض الزلات والعثرات.

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

د/ علا نصر الدين علام الشريف
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية البنات بسوهاج

---

(١) الظاهرة الاستشراقية – ساسي سالم الحاج – ج١ ص ٩.

أهم المصادر والمراجع

وهـــي مرتبة حسب الحروف الهجائية مع مراعاة إهمال أداة التعريف (أل) أثناء الترتيب.

★ القرآن الكريم – جل من أنزله

١- الأبطـــال – توماس كارليل – ت / محمد السباعي – ط الثالثة سنة ١٩٣٠م – المطبعة المصرية بالأزهر.

٢- آراء المستـــشرقين حـــول القرآن الكريم وتفسيره – د/ عمر إبراهيم – ط دار طيبة.

٣- الاستشراق – د / عبد الفتاح الديدي – ط دار الثقافة.

٤- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – د/ محمود حمدي زقزوق – ط قطر سنة ١٩٧٨م.

٥- الاستـــشراق والمستـــشرقون وجهـــة نظر – د/ عدنان محمد وزان – سلـــسلة دعوة الحق – ط رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة سنة ١٩٨٤م.

٦- الإســـلام والرسول ﷺ في نظر منصفي الشرق والغرب – د/ أحمد حجر البوطي.

٧- الإســـلام والعـــرب – روم لانـــدو – ت/ منيـــر البعلبكي – ط بيروت.

٨- الإسلام والمستشرقون - ت/ نخبة من العلماء - ط عالم المعرفة سنة ١٩٨٥م.

٩- أصول الدين الإسلامي - د/ رشدي عليان - ط الثانية سنة ١٩٨١م.

١٠- أضواء على الاستشراق - د/ محمد عبد الفتاح عليان - ط دار البحوث العلمية - الكويت سنة ١٩٨٠م.

١١- أضواء على الاستشراق والمستشرقين - د/ محمد أحمد دياب ط الأولي سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م - دار المنار.

١٢- إظهار الحق - للشيخ رحمة الله المندي - ت/د/ أحمد حجازي السقا - ط دار إحياء التراث العربي.

١٣- تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - ط السادسة دار العلم للملايين - بيروت لبنان.

١٤- تاريخ العرب - د/ فيليب حتى - ط السادسة سنة ١٩١٦م.

١٥- التبشير والاستشراق حملات وأحقاد - د/ محمد عزت الطهطاوي - ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٧م.

١٦- التحقيق التام في علم الكلام - ت/ محمد الحسيني الظواهري ط الأولي سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م - الناشر مكتبة النهضة المصرية.

١٧- تفسير القرآن العظيم - للحافظ إسماعيل ابن كثير - ط دار المعرفة سنة ١٩٨٣م - بيروت - لبنان.

١٨- حضارة العرب - جوستاف لوبون - ت/ محمد عادل زعيتر - ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

١٩- حياة محمد - د/ محمد حسين هيكل - ط الخامسة سنة ١٩٥٢م دار المعارف.

٢٠- دائرة المعارف الإسلامية - ت/ نخبة من العلماء - ط دار الشعب.

٢١- دراسات علمية في المسائل العقدية - د/ آمنة محمد نصير ط سنة ١٩٩٠م.

٢٢- رسالة التوحيد - الشيخ محمد عبده - تعليق محمد رشيد رضا ط سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م- الناشر مكتبة القاهرة.

٢٣- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين - د/ نذير حمدان ط رابطة العالم الإسلامي.

٢٤- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - د/ مصطفى السباعي - ط الثانية سنة ١٩٧٨م - دمشق بيروت.

٢٥- سنن ابن ماجه - ابن ماجه - ت/د/ محمد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة الإسلامية.

٢٦- سنن أبو داود - للإمام أبو داود وسليمان بن الأشعث ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر للطباعة.

٢٧- سنن الترمذي - لأبي عيسى محمد - ت/ أحمد محمد شاكر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٨- الـسنن الكبرى – لأحمد بن الحسين البيهقي – ط الأولي سنة ١٣٤٤هـ صيدر آباد الدكن.

٢٩- سـنن النـسائي – للحافظ عبد الرحمن بن شعيب النسائي ط الأولي سنة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م مصر.

٣٠- السيرة النبوية – لأبي الحسن الندوي – ط سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م المكتبة العصرية بيروت.

٣١- الـسيرة النـبوية – محمد بن عبد الملك بن هشام – ت/ د / أحمد حجازي السقا – دار التراث العربي للطباعة.

٣٢- شـرح البـيجوري علي الجوهرة – ت/ إبراهيم البيجوري ط الأزهر.

٣٣- شرح المقاصد – سعد الدين التفتازاني – ت/ د/ عبد الرحمن عميرة – ط الأولي سنة ١٩٨٩م عالم الكتب.

٣٤- شـرح المواقـف – عضد الدين الإيجي – ت/ السيد الشريف الجرجاني – ط الأولي مطبعة السعادة.

٣٥- صـحيح الـبخاري – للإمـام محمد بن إسماعيل البخاري – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.

٣٦- صـحيح مـسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – ت/ محمد فـؤاد عبد الباقي – ط الأولي سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م – دار الحديث .

٣٧- الظاهــرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – د/ ساسي سالم الحاج – ط الأولي سنة ١٩٩١م – الناشر مركز دراسات العالم الإسلامي.

٣٨- العقيدة الإسلامية في النبوات – د/ عبد العزيز تمام يوسف – ط الولي سنة ١٩٩٠م – دار الطباعة المحمدية.

٣٩- العقــيدة والــشريعة في الإسلام – جولدزيهر – ت/ د/ محمد يوسف موسى – ط الأولي سنة ١٩٦٤م – دار الكتب الحديثة بمصر.

٤٠- الغــزو الفكــري والتــيارات المعادية للإسلام – د/ علي عبد الحليم محمود – ط جامعة الإمام بالسعودية.

٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن حجر العسقلاني – ت/ محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر دار الفكر .

٤٢- فلــسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر- أحمد سيمالوفيتش – ط دار المعارف.

٤٣- القامــوس المحــيط – محمــد بن يعقوب الفيروز آبادي – ط الثانية سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٤- لسان العرب – جمال الدين منظور –.ط دار صادر بيروت.

٤٥- مــباحث في علوم القرآن د/ صبحي الصالح – ط السادسة – دار العلم للملايين.

٤٦- المبشرون والمستشرقون – د/ محمد البهي – ط مصر سنة ١٩٦٣م.

٤٧- مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – العدد (١٣) سنة ١٩٩٥م وكذلك للعدد (٨) ١٩٩٠م.

٤٨- مجلة منار الإسلام – العدد الأول سنة ١٩٨٤م.

٤٩- مجموعة القصور العوالي – الرسالة اللدنية – للغزالي – ط مكتبة الأزهر.

٥٠- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن – إبراهيم خليل أحمد مكتبة الوعي العربي بالقاهرة.

٥١- مختار الصحاح – أبو بكر الرازي – ت/ محمود خاطر – ط دار المعارف.

٥٢- مختصر شرح الخريدة – للإمام أبي البركات الدرديري – ت/ د/ أحمد حجازي السقا – ط مكتبة الأزهر.

٥٣- المستشرقون – نجيب العقيقي – ط دار المعارف.

٥٤- المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية – جمع صلاح الدين المنجد – ط الثانية سنة ١٩٨٢م دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان.

٥٥- المستشرقون البريطانيون – محمد الدسوقي النويهي – ط لندن.

٥٦- المستشرقون والتراث – د/ عبد العظيم الديب – ط دار الوفاء للنشر.

٥٧- المستشرقون والتاريخ الإسلامي - د/ على حسني الخربوطلي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٠م.

٥٨- مسند أحمد ابن حنبل - للإمام احمد بن حنبل - ط دار الفكر.

٥٩- مشكل الآثار - أبو جعفر الطحاوي - ط الأولي سنة ١٣٣٣ هـ - دار صادر بيروت.

٦٠- معجم متن اللغة - الشيخ/ أحمد رضا - ط القاهرة.

٦١- المعجم الوسيط - ت/ مجمع اللغة العربية - ط القاهرة سنة ١٩٦٠م.

٦٢- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث - للشهرزوري المعروف بابن الصلاح - ط دار الحكمة دمشق.

٦٣- الملل والنحل - للشهرستاني - ت / محمد سيد كيلاني - ط دار المعرفة بيروت لبنان.

٦٤- مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية العربية ت / نخبة من العلماء - ط الرياض.

٦٥- مناهل العرفان في علوم القرآن - للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - ط الثالثة عيسى البابي.

٦٦- مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية - د/ أحمد السايح.

٦٧- المواقف في علم الكلام - عضد الدين الإيجي - ط مكتبة المتنبي القاهرة.

٦٨- النبـي محمـد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء - عبد الكريم الخطـيب - ط الثانـية سنة ١٩٧٥م - دار المعرفة للطباعة بيروت لبنان.

٦٩- نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم - حسن ضياء الدين العتر - ط الأولي سنة ١٩٧٣م - دار النصر سوريا.

٧٠- النـبوة والأنبـياء في الفكر الإسلامي - د / علي عبد الفتاح المغربي - مكتبة الحرية بالقاهرة سنة ١٩٩٠م.

٧١- نداء إلى الجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف - الشيخ محمد رشيد رضا - ط الثانية - دار المنار.

٧٢- نظرات في العقيدة الإسلامية - د/ محمد الأنور حامد عيسى.

٧٣- الوحـي المحمـدي - للشيخ محمد رشيد رضا - ط الزُهراء للإعلام العربي.

٧٤- الوحي والقرآن الكريم - د / محمد حسين الذهبي - ط الأولي سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - الناشر مكتبة وهبه.

٧٥- الوحـي والملائكـة فـي الـيهودية والمسيحية والإسلام - أحمد عبد الوهاب - ط القاهرة.

